الملحق الثقافي

ملحق أسبوعي
يصدر كل ثلاثاء
عن جريدة الثورة
العدد 1141
2023/4/18

يوم الجلاء هو الدنيا وزهوتها

أول الكلام

من عطر السّماء

▪ ديب علي حسن

يوم الجلاء هو الدنيا وزهوتها، نعم نحن من يبتهج بهذا العيد الوطني الشامل للأعياد الوطنية كلها.. وهو الحدث الذي سيبقى مفصلياً في تاريخ سورية والمنطقة، واليوم يترسخ فعل الجلاء نضالاً وعزة واستقلالاً أكثر من أي وقت مضى، فالجلاء الذي كتبه أجدادنا وآباؤنا بالدم المهراق على مذبح الكرامة والحرية والاستقلال كان ومازال مستهدفاً.

ليس حدثاً عادياً عابراً ولا ذكرى سنوية إنه أبعد من هذا كله هو التراب السوري الممتزج بالدم كما قال الشاعر بدر الدين حامد، وهو من عطر السماء كما قال بدوي الجبل لأنه من دم كل حرّ أبي.

الجلاء مهره من كل بيت، وكل أسرة، وكل قرية وحقل ومزرعة.. دين في رقابنا لأن نفيه حقه ونصونه ونعلي البنيان الذي أشاده.

السوريون اليوم يخوضون معركة الجلاء الأكبر، ومنذ أن كان الجلاء لم تتوقف نضالات شعبنا بل هي مستمرة.

لقد أرسى النضال فعل الاستقلال، ومن ثم الجلاء، ونحن على العهد باقون نمضي إلى الغد، ونحن واثقون أن الجلاء الأكبر يرسخ خطاه، وهو قيد الفعل الدائم.

لقد كان الجلاء صناعة سورية أدهشت العالم، صناعة النصر والكرامة والحرية، أعتى القوى الاستعمارية حينها، أخرجها السوريون بصدورهم العارية بقوة الإيمان بالوطن بالحياة، وغدا الجلاء مضرب المثل، يكتب نهرو لابنته أنديرا في رسالة إليها قائلاً: انظري إلى السوريين كيف استطاعوا أن يحققوا استقلالهم.

واليوم العالم كله يقول: انظروا إلى السوريين لقد غيروا العالم وصنعوا عالماً جديداً، إنهم صنّاع التاريخ، والجلاء الأكبر قادم تصنعه زنود الأبطال.

من صنّاع الجلاء

حلم على جنبات الشام

بيكاسو الوجه الآخر

الرواية التاريخية

رئيس التحرير
أحمد حمادة

مدير التحرير
معد عيسى

إشراف
ديب علي حسن

الإخـــراج
هدى نصر شمالي

توجه جميع الرسائل
باسم هيئة التحرير
D.hasan09@gmail.com
هاتف ٢١٩٣٢٢٢

معرض

الفنّ وأعياد الجلاء

ضمّ المعرض الفني الـذي استضافته صالة المعارض في قصر الثقافة بمدينة السويداء بمناسبة عيد الجـلاء، نحو ٤٠ عملاً فنياً من التصـوير الزيتي والحفر والنحت.

وشارك في المعرض الذي أقامته مديرية الثقافة في السويداء بالتعاون مع ملتقى آرام للثقافة والفنون وكلية الفنون الجميلة الثانية في السويداء ١١ فناناً تشكيلياً.

مدير ثقافة السويداء ليلى أبو فخر بينت في تصريح أن المعرض ضم مدارس فنية تنوعت موضوعات الأعمال فيها بين التعبيرية والواقعية والتجريد، للتأكيد على مواطن الجمال في الحضارة السورية من خلال الفنّ الذي يعبّر عن هوية المجتمع.

رئيس مجلس إدارة ملتقى آرام للثقافة والفنون الباحث أكرم نصر أوضح أن المعرض يشارك فيه نخبة من الفنانين التشكيليين، بينهم عدد من أعضاء الهيئة التدريسية في كلية الفنون الجميلة الثانية، ويسهم في تحقيق حالة تواصلية بين الفنان التشكيلي والمجتمع، ويؤكد من خلال عنوانه: (سورية أرض الجمال) دور الفنان في الحفاظ على تراث وحضارة بلادنا وتحقيق الاستمرارية في نقل الحضارة الإنسانية إلى الأجيال القادمة.

بدورها عميد كلية الفنون الجميلة الثانية في السويداء الدكتورة إخلاص الفقيه أشارت إلى أن مشاركة ستة فنانين من المدرسين وأعضاء الهيئة التدريسية في الكلية خير دليل على حضورها في المجتمع، وهي حريصة على المشاركة في مختلف الملتقيات والمعارض الفنية لتحقيق حالة من التفاعل والتواصل بين الفنان ومجتمعه.

الفنان التشكيلي عصام الشاطر لفت إلى أنّ مشاركته من خلال ثلاثة أعمال فنية من التصوير الزيتي، بينها عمل يتناول أحياء قديمة، وآخر طبيعة صامتة مع تأثيرات الضوء والظل، وثالث يعبّر عن ربط التراث والعناصر التراثية بالخط والزخرفة ضمن تكوينات لونية مدروسة.

من جهته الفنان التشكيلي عبد الله عبد السلام أشار إلى مشاركته بخمسة أعمال فنية تعبيرية من التصوير الزيتي، تجسد بناء الكتلة والفراغ على نمط من أنماط النسبة الذهبية، بينما أوضحت الفنانة التشكيلية المهندسة هيفاء المتني أنها شاركت بثلاثة أعمال فنية عبارة عن وجوه فيها عيون بارزة تعكس المشاعر وتعبر عن تأثير المجتمع على الأشخاص.

بدوره أشار عضو المكتب التنفيذي لمجلس المحافظة عن قطاع الثقافة باسم حاطوم خلال حضوره افتتاح المعرض إلى الدور المهم للفنون في تجسيد معالم الحضارة الإنسانية ونقلها من جيل لآخر وإظهار مواطن الجمال في سورية.

محاضرة

إبداع أنطون تشيخوف

مـازال إبـداع أنطون تشـيخـوف الـكـاتـب الـروسـي الـعـالمي يشغل الـنـقـاد والـبـاحـثـين والمترجمين، ينقلون كل فترة إلى اللغات العالمية الجديد الـذي يكتشف في تـراثـه الإبـداعـي، الدكتور ثائر زين الدين مستشار وزير الثقافة والـشـاعـر والمـتـرجـم، وعـضـو الأكـاديـمـيـة العلمية الـروسـيـة وفي إطار اهتمامه وترجمته لعيون الأدب الروسي قدم محاضرة مهمة في فرع اتحاد الكتاب العرب بالسويداء تحت عنوان: قراءات قصصية بعنوان «رحلة مع أنطون تشيخوف».

وقد أشار إلى أن الأعمال الكاملة للقاص والمسرحي الكبير والمبدع أنطون تشيخوف، الذي لم يعش أكثر من ٤٤ عاماً بلغت مئات القصص التي جمعها الروس في ثلاثين مجلّداً، يقع الواحد منها فيما لا يقل عن ٥٠٠ صفحة.

ولفت زين الدين إلى أن دار التقدم في الاتحاد السوفييتي السابق أصدرت في عام ١٩٨١ مختارات في أربعة مجلدات لأبي القصة القصيرة أنطون تشيخوف، واختارها وترجمها إلى العربية الدكتور أبو بكر يوسف.

كما نوه زين الدين بأنه أنجز المجلد الرابع الذي يضم ٩٨ قصة لتشيخوف ضمن مشروع ضخم لنقل أعماله إلى العربية.

وخلال المحاضرة قرأ الأديب زين الدين مختارات من القصص القصيرة من نتاجات أنطون تشيخوف، الذي كتب عنه كبار كتاب عصره مثل مكسيم غوركي ووصفوا فيها إبداعه.

كتاب العدد

حسب الترتيب الهجائي

دلال ابراهيم

رجاء علي

علي حبيب

علم عبد اللطيف

غسان كامل ونوس

سلام الفاضل

سامر الشغري

نصرة ابراهيم

موجة أم ظاهرة
ماذا وراء انتشار الشعر باللهجات المحكيّة؟

غسان كامل ونوس

ليس الكلام جديداً عن تأثير الأحداث الكبرى على الأدب وأجناسه؛ شكلاً ومضموناً، في مختلف الآداب العالميّة، ولا غريباً لدينا، وإن كانت التغيّرات عندنا، تتأثّر أيضاً، بتلك التحوّلات الثقافيّة العالميّة؛ وإن بعد حين. ومن المعروف أنّ كتابات تحدّثت، وما تزال تتحدّث، عن الأشكال الأدبيّة والفنّيّة، التي ظهرت في أوروبّا، بتأثير كلّ من الحربين العالميّتين، امتداداً للحداثة وما بعد الحداثة.

وليس ما تشهده منطقتنا منذ أكثر من عقد- بل ربّما من عقدين أو أكثر- قليلاً ولا بسيطاً، ولا يسيراً فهمه، والتعامل معه، وليست انعكاساته المباشرة وغير المباشرة، جليّة تماماً؛ لأنّ الحال المضطربة ما تزال قائمة، إلى ما لا يعرف مداه الزمانيّ والمكانيّ؛ فمجريات الوقائع نفسها، لم تتوقّف، وغير معلومة حدودها وأبعادها، وارتداداتها المتنوّعة؛ لتفاوت شدّاتها، وتعدّد المجالات والمحاور والمصادر والمتلقّين واهتماماتهم ومستوياتهم وشرائحهم، وقربهم من الأحداث أو بعدهم عنها، من دون أن ينفي هذا إمكانيّة مقاربة الأصداء في مجال ما، وتتبّع إيقاعاتها، وعناصرها، واختلافاتها.

ولا شكّ في أنّ الجانب الثقافيّ ميدان متاح للتأثّر، وقابل له ومحتمل؛ وطبيعيّ أنّه لا ينبتّ عن مسائل وعوامل أخرى متعدّدة؛ إذا لم يكن مؤشّراً ودليلاً؛ ومن المفترض أن يكون موجّهاً؛ ولكن هيهات! وإذا كانت التأثيرات المرتقبة؛ فيما أرى، ستكون بطيئة؛ في الجانب العقليّ، الذي يتّصل بآليّات التفكير لدينا؛ قليلة الاعتماد على التحليل، والمحاكمة، والاستنتاج، والمرتبطة بالتقديس، والتلقين، وقلّة المبادرة، وعدم الجرأة، والتبعيّة المبطّنة والمعلنة للنافذين من الجهات والمؤسّسات والجماعات والأفراد، في الداخل والخارج، وانتظار الموافقة أو الإيحاء بها، وتلمّس بوادرها؛ فإنّ الآثار والعلامات، التي ستظهر على ما يتعلّق بهذا الجانب الأساس في البنية الشخصيّة والمجتمعيّة، ستكون شحيحة وباهتة ومحدودة، وفرديّة، أو ستتأخّر؛ لأنّها ستحتاج إلى زمن أطول، إذا ما كانت رهناً بالتفاعلات الحيويّة والتساؤلات والتوقّعات والاحتمالات والدراسات المقارنة الجادّة الموضوعيّة؛ لكنّ هذا غير متوافر- للأسف- كمّاً ونوعاً وشموليّة؛ كما هو كمّ النصوص الأدبيّة- الشعريّة غالباً- قيد المقاربة والمتابعة المرحليّة الضروريّة؛ للوصول إلى سمات واضحة، وعلامات فارقة؛ إن وجدت. ولهذا، فقد يكون التغيّر في الأجناس الأدبيّة؛ بناء ومحتوى؛ ومنها نماذج الشعر الثلاثة المشهورة (العموديّ والتفعيليّ والنثريّ) غير واضح؛ أمّا الجانب الانفعاليّ من المسألة، التي تتكاثر نفثاته، وتتحرّق زفراته، وتتأسّى أناته، وتترطّب نهداته بسوائل حارقة شفّافة وقانية، وتتمظهر مشاهده بألوان فاقعة وقاتمة ومغبرّة، فإنّه يسود، وهذا ما يجعل الحال تميل أكثر إلى الشعر التقليديّ مظهراً وصياغات على الأقلّ؛ لأسباب تتّصل بالعادة والاستسلام لما هو معهود ومألوف من عبارات ونَظم، مع الاستسهال والمواكبة والمشاركة والراهنيّة والتفجّع والرثاء، وما يمكن أن يشار إليه بالتأثّر النفسيّ الوجدانيّ اللاواعي ربّما؛ فهذا الجانب الانفعاليّ العاطفيّ، الذي نُشتهر به؛ بدرجة أكبر من الجانب العقلي الواعي؛ إن لم يكن على حسابه، سيكون أكثر استحضاراً واستنفاراً واستثارة؛ بسبب فظاعة ما يجري، وقوّة صدماته، وكثافة ترامحه، وشراسة المواجهات، والضجيج الذي يسبّبه وقعه المباشر، وتردّداته في الإعلام بأنواعه، والمرويّات بأشكالها، وشدّة تأثيره، وشموليّة هذا التأثير، مع التناقضات، التي تفرزها الأحداث والمواقف، حتّى على الشخص نفسه، ويكون كلّ هذا دافعاً للإسهام الشعوريّ الوجدانيّ في فعاليّاتها ومخرجاتها، وللتفاعل مع تفصيلاتها ومفرداتها، والتحسّس بآثار شظاياها الحادّة الكثيفة المتسابقة للحزّ والقلقلة والتوتير والتأذّي. وكيلا تفهم المسألة خطأ، وتذهب الأفكار في منحى التقويم السلبيّ أو الإيجابيّ (أسود أو أبيض)؛ مع أنّ هذا غير مقصود، وغير ممكن عمليّاً، وغير مطلوب! فإنّ ما ذكرنا في محاولة القراءة آنفاً، ليس انتقاداً أو مساءلة، أو إساءة؛ فجميعنا يعرف بأنّ اللّاوعي عملاً مهمّاً في الإبداع؛ إن لم يكن له العمل الأهمّ. ومن أكثر ما يعبّر عن هذا الجانب، الذي يسمنا؛ كي لا نقول: يميّزنا، الكلام العفويّ والدارج وغير المتكلّف، وهو الذي يخاطب الحواس، ويعبّر عن حساسيّتها وقدراتها، ويراود الملَكات عن صمتها وحيادها، ويساير المشاعر والعواطف الجيّاشة؛ تماشياً مع ضراوة الضربات والوخزات والحزّات والانهدامات، وسعة الافتراق بين الشعارات والمبادئ وبين الممارسات، واختلاف التفسيرات والتأويلات والأخبار والأصداء، وانسجاماً مع استفحال القلق والخوف والحيرة والشكّ، وتشبّعاً بالحزن والأسى، وتساوقاً مع مرارة الفقد العزيز المتكاثف، وقلّة الأمل، والقنوط، والتشكيك أو الإيمان ربّما بجدوى الإيمان، والصبر، والصمود، والتضحية، والوصول، بعد فصول وفصول، إلى ما يشبه الخلاص، أو ما يبشّر به، أو يدعو إليه. وهذا كلّه يترك المجال مفتوحاً للكلام الخالي من التعقيد في اللفظ والمعنى، والذي لا يحتاج إلى تفكير عقلي، ولا يتيحه التسارع المطّرد، ولا تيسّره الظروف القارسة، ولا المستجدّات المتلاحقة، والحاجات الضاغطة، ولا وقت، ولا قدرة عليه، ولا رغبة فيه ربّما.

ولهذا يتمّ اللجوء إلى الشعر العامّي المحكيّ، والاستعانة بأشكاله، ولهجاته، ومفرداته، وتنويعاته، وتلويناته؛ وليس في هذا مثلبة؛ فهو موجود، وفيه أصوات وفصول وألحان تلامس الشغاف، وتهزّ أوتار النفس، فتستذكر، وتحنّ، وتتأسّى، ولا تلوم الأشخاص ولا تعاتب الأحبّة؛ بل الظروف والأحوال والأقدار، وتتمنّى، وتأمل، ولا تبشّر! لكنّ المشكلة تكمن في انتشار هذا الشكل، أو النموذج، على نطاق واسع، وفي مناسبات كثيرة، وعلى المنابر، وفي الملتقيات والمهرجانات والنشاطات وفي مختلف المناطق والأحياز. وقد ظهرت تجمّعات «ثقافيّة!» عديدة بمسمّيات أدبيّة طنّانة، ومواقع وصفحات برّاقة، تجوب المدن والقرى؛ ويلاحظ أن هذا «الشعر الدارج»، غلب على النماذج الشعريّة الأخرى- من دون أن نعفي هذه النماذج الأخرى من تأثّرات مهمّة بما ذكرناه؛ إلى جهة السطحيّة والمباشرة وقلّة التعمّق وندرة السبر والاستكشاف، ووهن الرؤيا، والاكتفاء بالرؤية والملاحظة والتوصيف.

ومن الإشكاليّات المتّصلة بهذا أيضاً، ما يتعلّق بإهمال الاجتراح والانبثاق والانغماس في الحال، وشيوع الافتعال، وتوسّل الانفعال؛ من خلال عبارات وكلمات ومسمّيات قديمة! ولا تتوقّف هذه الإشكاليّات على النصوص التي تتناول الحالات والوقائع والأحداث؛ بل يحاول هذا النمط استظرافاً، وتلويناً خارجيّاً، وطرافة سمجة، أن يدّعي الموضوعات الغزليّة؛ للخروج من حالات البؤس والحزن والحصار والغلاء؛ كما يصرّح أصحابه بهذا؛ وليتهم لا يفعلون! إذ لا تخرج أغلبيّة نصوصهم عمّا قلناه من استدعاء المثيرات العاطفيّة والمشاعر الغريزيّة بطرق حسّيّة فيها كثير من الإسفاف، وغالباً لا تأتي؛ كما أنّ من الممكن ملاحظة فصام بين هؤلاء الأشخاص الهائمين، والآخرين المفجوعين؛ وقد يكون فاقداً أيضاً؛ بل إنّ واحدهم يمكن أن ينقلك من توسّل الدمعة، إلى تسوّل الضحك المجّاني في الآن نفسه. ولست أدعو هنا؛ إطلاقاً، إلى عدم التطرّق إلى موضوعات أخرى غير الأحداث والأحوال المؤسية؛ فقد قلت أكثر من مرّة؛ وهذه قناعتي؛ بأنّك حين تكتب، أو تقول نصّاً مميّزاً فنّيّاً في أيّ موضوع؛ حتّى إن كان غزليّاً؛ فأنت تخدم قضيّة الحقّ والعدالة؛ بالسموّ بهذه المشاعر الطبيعيّة إلى مرتبتها الإنسانيّة العليا، وبالذائقة الخاصّة والعامّة، إلى درجة الاحترام والتقدير.

إنّها- في ما أرى- موجات متجدّدة في السياق الشعريّ، وربّما الأدبيّ والفنّي؛ والثقافيّ على العموم، تعبّر عن فقر وضحالة وخيبة وشكّ وعدم ثقة بالنفس والآخر، وقلّة كوى الأمل لدى المجموع؛ القائلين والمتلقّين، الذين يستسيغون مثل هذا، ويتماهون معه، ويطالبون به!

إن استمراء هذه العمليّة المستمرّة، وكثافتها والترويج لها- هنا أو هناك؛ في هذه المنطقة، والدولة، أو تلك، ومنح الألقاب والجوائز للقائمين بها وعليها؛ وإن كانت خلّبيّة، يجعل منها ظاهرة، تستحقّ الإشارة الجادّة إليها؛ كما ندّعي أنّنا فعلنا هنا، وتستدعي دراسة وتقويماً وبحثاً عن الأسباب والعوامل المساعدة، والشرائح، التي تمتهنها، والجهات، التي تدعمها، وتسهّل لها العبور والتعويم والتفاقم.

الفكرُ القوميّ العربيّ وضرورات التجديد

وفاء يونس

ناقش الدكتور ماهر الطاهر قضية تجديد الفكر القومي العربي بدراسة مهمة ومطولة نشرها في مجلة الهدف الالكترونية ومن من الدراسات نقف عند الخطوط العريضة التي تتعلق بالجانب الثقافي يرى ماهر الطاهرأنه بعد هزيمة الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ وما أفرزته من نتائجَ عسكريّةٍ وسياسيّةٍ واجتماعيّةٍ وفكريّة، تم طرح تساؤل تعميقةٍ حولَ الفكر القومي العربي ومستقبله خاصةً بعد حالة المد القومي الذي شهدته الساحة العربية بعد صعود التجربة الناصرية وتأميم قناة السويس وعدوان ١٩٥٦ على مصر والوحدة السورية المصرية عام ١٩٥٨.

وتزايدت التساؤلات حول مصير الفكر القومي العربي بعد توقيع اتفاقات كامب ديفيد و أوسلو ووادي عربة وبلغت هذه التساؤلات والأسئلة ذروتها بعد احتلال العراق عام ٢٠٠٣ وبعد ما سمي بالربيع العربي عام ٢٠١١ الذي كان من نتائجه تدمير عدد من البلدان العربية بمشاركة من بعض الأنظمة العربية مما جعل البعض يروج لمقولة هل آن الأوان للقول وداعاً لشعار الوحدة العربيّة ووداعاً للفكرة القوميّة ووداعاً لوجود أمة عربيّة واحدة، وبات البعض يعيش حالة من الإرباك والتشتت الفكري ويطرح تساؤلات جادة حول الواقع العربي والفكر القومي ومستقبل الأمة العربية ومستقبل أجيالها.

تبلور الفكر القومي العربي المعاصر مع تصاعد نضال الشعب العربي ضد الاستبداد العثماني والتوسع الاستعماري الأوروبي وضد الغزوة الصهيونية الاستيطانية في فلسطين، وأصبح هذا الفكر حقيقة موضوعية تترسخ معالمها وتنمو مقوماتها من خلال النضال العربي من أجل التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي والوحدة. تعاظمت قوة الحركة القومية العربية مع نهاية الحرب العالمية الثانية وأفلحت في تحقيق الاستقلال السياسي لمعظم البلدان العربية، كما تعاظمت مكانة حركة التحرر الوطني في المرحلة الناصرية، وشهدت المنطقة العربية حالة مد قومي عارم توّج بوحدة مصر و سورية عام ١٩٥٨ مما أقلق الدوائر الامبريالية والصهيونية التي كانت تعد العدة وتتربص الفرصة المناسبة لتطويق عبد الناصر موجهة ضربتها الكبرى في عدوان حزيران ١٩٦٧ الذي كشف عجز وأمراض الواقع العربي ومشكلاته الخطيرة.

هذا العدوان أحدث زلزالاً هائلاً في المنطقة العربية وترتب عليه سلسلة من الانهيارات المتتالية التي عبرت بوضوح عن مظاهر أزمة عميقة وشاملة سياسية. واقتصادية واجتماعية يعيشها الوطن العربي كان من أبرز نتائجها وتجلياتها إفراز اتفاقيات كامب ديفيد واتفاق غزة أريحا والمعاهدة الملكية الهاشمية الاسرائيلية إضافة لحروب وصراعات داخلية عربية - عربية لا زالت قائمة ستضع العرب في حال استمرارها على هامش التاريخ.

في مثل هذه المنعطفات التاريخية الكبرى وفي مراحل الأزمة والتراجع تشعر الأمم والمجتمعات بحاجتها إلى المراجعة وتأكيد الهوية واستخلاص الدروس تستذكر تاريخها وحضارتها وثقافتها وتراثها للدفاع عن حاضرها ومستقبلها. الهجوم الامبريالي الصهيوني الشامل لا يستهدف السيطرة العسكرية والسياسية والاقتصادية على مقدرات العرب فحسب، بل يسعى إلى تأكيد انتصاره الايديولوجي ومحاربة وتشويه وتهديم كلّ فكر مناهض له. والفكر القومي العربي كان مناهضاً للاستعمار ولا يزال وإن قلّت فاعليته بسبب المأزق الذي يعيشه. فلا شك أن هذا الفكر تعرض لضربات شديدة ويعاني أزمة بسبب عدم قدرته على تجسيد الشعارات والأهداف الكبرى التي طرحها. ولكن لا شك كذلك ورغم الأزمة، فإن الفكر القومي يستند إلى أسس موضوعية مرتبطة بمصالح الشعب العربي ومستقبله يستند إلى أسس راسخة لا يمكن تجاوزها:

وحدة اللغة والتاريخ والجغرافيا والثقافة والحضارة والمصير المشترك والمخاطر المحدقة. وهذه الأسس وحدت العرب عندما توفر العامل الذاتي ولكن عندما كان الخلل يصيب هذا العامل فإن الصورة تختلف تماماً ويذكرنا التاريخ العربي بأنه لم تكن هناك ديمومة لما يمكن أن يسمى :(حالة وحدة، أو حالة تجزئة، فالشواهد التاريخية تؤكد هذا المنحى. فليس صحيحاً أن الوطن العربي كما نعرفه اليوم ظل في حالة وحدة شاملة معظم تاريخه، كذلك لم يبق مفتتاً ومجزءاً طوال تاريخه. بل إن التوحد كعملية مجتمعية سياسية كان يمثل اتجاهاً تاريخياً مستمراً وكان التفتت أيضاً كعملية مجتمعية سياسية يمثل اتجاهاً تاريخياً مضاداً، والعمليتان سادتا التاريخ العربي من خلال جدلية مستمرة. وأهم من ذلك بالنسبة إلى المستقبل هو التأكيد على أن عوامل التوحد موجودة بالقوة نفسها التي توجد بها عوامل التفتت في التجزئة الظاهرة في الوقت الحاضر.

إن القول بأزمة وتراجع الفكر القومي لا يعني سقوط مفاهيمه ومنطلقاته الأساسية. فمقولاته الأساسية حول الوحدة والتحرر والاستقلال الاقتصادي والاجتماعي وتحرير فلسطين لا زالت تشكل محور وجوهر طموحات وتطلعات الجماهير العربية. وتشكل مهمات أساسية كبرى يتوجب التصدي لها كونها ضرورات موضوعية ترتبط بمصالح الشعب العربي وأهدافه. وإن كانت بحاجة إلى التجديد والتطوير الملموس الذي يأخذ بعين الاعتبار تاريخ الفكر القومي العربي وتجاربه الماضية، هذا الفكر الذي يراجع مسيرته ويعيد قراءة تاريخه على ضوء تجارب الماضي ومعطيات الواقع الراهن مما يفتح الطريق أمام بلورة مشروع عربي قومي حضاري يمكن أن يوحد جهود وطاقات مختلف التيارات الفكرية السائدة المناهضة للإمبريالية والصهيونية والرجعية والداعية للتحرر والديمقراطية والعدالة والوحدة.

لقد سادت الفكر القومي العربي المعاصر في مرحلة الخمسينات والستينات نزعة رومانسية وعاطفية، رفعت شعارات كبرى ونبيلة التفت حولها الجماهير العربية. لكن لم يجر التدقيق والدراسة في العناصر والعوامل الأساسية التي يمكن أن تجعل من هذه الشعارات ومن الحركة الجماهيرية الواسعة قوة مادية لتغيير الواقع.

صحيح أن الحركة القومية حققت انجازات ومكتسبات ملموسة لكنها لم تنجح في تحقيق هدفها الأساسي بإنجاز الوحدة.

إن بناء المشروع الحضاري القومي العربي بات يتطلب استخلاص العناصر التي يمكن أن تؤسس لرؤية أكثر وضوحاً ورسوخاً للفكر القومي ارتباطاً بدروس الماضي وتحديات الحاضر والمستقبل التي يفرضها الواقع العالمي والعربي الجديد. فما هي أبرز الاستخلاصات؟

أولاً: البعد الديمقراطي في الفكر القومي

الفكر القومي لم يعتن ويبلور بشكل واضح طبيعة الدولة القومية وطبيعة العلاقة بين الأقطار وتكوين السلطة والسبل الديمقراطية للوصول إلى الوحدة العربية ولم يربط غالبية رواد الفكر القومي بين الثورة القومية الوحدوية والديمقراطية. وأكثر من ذلك فقد تمحور الفكر القومي حول شعارات استراتيجية بعيدة المدى دون تحديد الطرائق والسبل الواقعية الممكنة لتحقيقها، كان يرى الأهداف البعيدة ولا يرى الوسائل المفضية لها، فقدس الوحدة والعروبة ونسي الواقع وتعقيداته.

ثانياً: البعد الثقافي

لا شك أن التحدي الثقافي الذي يواجه العرب في الظروف الراهنة كبير وخطير خاصة بعد التطورات الهائلة على صعيد الثورة العلمية التكنيكية، حيث نعيش اليوم عصر اختراق الحدود والعقول. وفي ظلّ غياب المشروع الحضاري القومي، فإن المواطن العربي سيكون مهيأ لاستقبال ما يتعرض له من تعبئة إعلامية وثقافية مرتبطة بالهجوم الامبريالي الصهيوني الشامل على المنطقة العربية والهادفة إلى تسميم العقول وتشويه المفاهيم في محاولة لسحق الشخصية والهوية العربية واستبدالها بهوية شرق -أوسطية، حيث وصلت العنجهية والغطرسة الصهيونية إلى حدّ مطالبة شمعون بيريز بانضمام اسرائيل إلى جامعة الدول العربية وتغيير اسم الجامعة، ليصبح جامعة الشرق الأوسط.

هذا الهجوم الشامل والمترابط عسكرياً وسياسياً واقتصادياً وثقافياً، يتطلب مواجهة شاملة ويكتسب البعد الثقافي في هذا السياق أهمية محورية لأن الجبهة الثقافية تشكل السياج الحامي لوجودنا الحضاري وهويتنا ومستقبل أجيالنا. فمن المعروف أنه في عصور التقدم والازدهار كانت الثقافة العربية تزدهر وتتقدم وفي عصور التخلف والانهيار كانت الثقافة العربية تتخلف وتتدهور شأنها في ذلك شأن كلّ ظاهرة اجتماعية. وفي الظروف الراهنة تشهد الساحة العربية حالة جدل عميقة تطال مختلف الاتجاهات الفكرية والسياسية السائدة حيث ينكفئ البعض ويندفع باتجاه العودة إلى الماضي والتشبث به تحت شعار فشل الفكر القومي والماركسي ويندفع البعض الآخر باتجاه المستقبل وقبول.

التحدي المطروح من جانب ثقافات العصر.

يقول الدكتور عابد الجابري: إن الواقع الفكري الثقافي العربي يعاني من ثنائية حادة بين ما هو تقليدي وما هو عصري على جميع المستويات. ثنائية تزداد تفاقماً لتكرس في المجتمع العربي انشطاراً خطيراً وقطيعة فظة بين القديم التليد والجديد الحديث. تحولت في بعض الأقطار العربية إلى حرب أهلية بين الطرفين أحدهما يرفع شعار الأصالة، وهم الأصوليون بينما يلوح الآخر برأية الحداثة والتجديد.

وهنا يندفع أمامنا سؤال كبير إلا يمكن المواءمة بين الأصالة والتجديد؟ ألا يمكن الاستناد للموروث الحضاري ومجاراة روح العصر؟

لقد وقع المفكرون العرب من مختلف الاتجاهات خلال العقود الماضية بأخطار كبيرة عندما ركزوا على عوامل الخلاف والصراع الفكري ووضعوا أسواراً صينية وخنادق متقابلة تمترس كل طرف وراءها دون رؤية ودراسة ما يطرحه الجانب الآخر.

إن نظرة جديدة ورؤية جديدة لا بدّ أن تتبلور، تنطلق من عناصر اللقاء والتوافق، فلا تعارض بين القومية والإسلام ويمكن للمشروع الحضاري النهضوي العربي أن يستوعب مختلف الاتجاهات الفكرية، إذا أدركت جميعها مستوى التحديات والمخاطر المحيطة، وإذا انطلقت من رؤية علمية منفتحة وغير متعصبة لا تضع أسواراً وقيوداً بين الحفاظ على كل ما هو ايجابي في الموروث الحضاري للأمة العربية وبين متطلبات العصر والمستقبل وأهمية وجود التعددية الفكرية والسياسية وتنوع الآراء والأفكار وتفاعلها السليم.

لقد جهد الاستعمار لمواجهة الدين والاسلام السياسي مع القومية العربية وعمل كل ما يستطيع لاستغلال وتعميق النزاعات الفكرية والسياسية والمذهبية والدينية في المنطقة والرد على ذلك يكون من خلال قيام نوع من التفاهم والتنسيق بين التيارات السياسية حول قضايا وأهداف وطنية وقومية تفرضها التحديات والظروف الراهنة التي تواجه الأمة العربية قضية فلسطين الاستقلال الاقتصادي والتنمية المستقلة عدم التبعية مواجهة التطبيع وثقافة الاختراق. وخطر الصهيونية.

إن انتماء الانسان العربي يتحدد من خلال دوائر عدة في وقت واحد فهو ينتمي إلى قطر عربي بعينه وهذه دائرة أولى. وهو من خلال انتمائه لهذا القطر ينتمي إلى الوطن العربي ككل باعتبار ذلك القطر جزءاً من هذا الوطن القومي وهذه دائرة ثانية. وهو ينتمي في الوقت نفسه إلى الحضارة العربية الإسلامية التي يعيش في ظلها الوطن العربي وهذه دائرة ثالثة. وأخيراً :هو ينتمي إلى الإنسانية جمعاء بمختلف أمم العالم وشعوبها وهذه دائرة مع رابعة وليس هناك من تناقض بين الانتماء لهذه الدوائر معاً، الوطنية منها والقومية والحضارية الإسلامية والإنسانية إن أحد الدروس المستخلصة من تجربة النضال القومي ضرورة تأسيس علاقة سليمة وعلمية مع التراث والبعد الثقافي فلا تعارض بين الاسلام والقومية لأن الإسلام من صلب التراث العربي شرط الفهم السليم للإسلام والقومية.

من النظرية إلى الممارسة..

عبد الإله بلقزيز

سريعاً انتقلت الفكرة القومية العربية من النصوص إلى النفوس، من النخبة المثقفة إلى الجمهور، من النظرية إلى الممارسة، فلم تبق مجرد فكرة، بل أصبحت حركة.

حصل ذلك ابتداء في ثلاثينيات القرن العشرين، ثم شهد اندفاعته الأكبر في العقدين التاليين. صحيح أن جمعيات ومؤتمرات عربية تألفت في العقدين الأولين من القرن العشرين، وكان لها بعض من وجوه النشاط السياسي والدعوي من أجل فكرة الأمة الواحدة ووحدتها القومية، لكن هذه ما كانت أحزاباً وحركات سياسية بالمعنى الدقيق، ناهيك بأن حلمها في دولة عربية شهد خاتمته الدراماتيكية بعد المآلات التي آلت إليها «الثورة العربية» وما أعقبها من احتلال لبلدان المشرق العربي وتمزيق لخارطتها الكيانية. وهكذا كان الانتقال الفعلي للفكرة القومية إلى مشروع سياسي حركي هو الذي حدث في سورية في مطالع الثلاثينيات من القرن العشرين.

من نافل القول إن صيرورة الفكرة القومية العربية حركة وتياراً سياسياً في بحر فترة زمنية قصيرة إنما يدل على شكل من الاستقبال الاجتماعي لها موضوعي. إذ لولا أن للفكرة قوة الجواب عن حاجات اجتماعية لما كان في وسعها أن تخرج من حيز النخبة المثقفة فتكسب لها جمهوراً وأنصاراً.

وفي هذا فائض الأدلة على ما كان لها من شرعية مضاعفة، أي مضافة إلى شرعية موضوعيتها كفكرة. فالذين استقبلوها من الناس بحماسة ورأوا فيها فكرتهم، ما فعلوا ذلك إلا لأنها بدت لهم جواباً عن أوضاع مجتمعهم، وأحدثت في نفوسهم الصدمة الايجابية، وأخرجت طاقاتهم المعطلة من هامشيتها، وقذفت بهم في معترك النضال من أجل قضية عليا. وما أغنانا عن القول إن ميلاد هذا العامل الاجتماعي السياسي للفكرة القومية العربية هو في مقام ميلاد جديد للفكرة القومية العربية أو شيء بهذه المثابة. ذلك أنه من دون وجود هذا العامل، كان يمكن أن تظل الفكرة فكرة لا تبرح الرؤوس إلا إلى النصوص. وعندها ستكون في جملة اليوتوبيات: وما أكثرها في تاريخ الفكر الإنساني.

لقائل أن يقول إن نشوء تنظيمات سياسية مثل «عصبة العمل القومي» و«الحزب العربي الاشتراكي» و«حزب البعث» (قبل توحد الأخيرين في حزب واحد)، و«حركة القوميين العرب»، إنما يعلن انتقال الفكرة من حيز نخبة إلى حيز نخبة أخرى، أي من المثقفين إلى السياسيين الحزبيين، وبالتالي فلا مجال للقول بحسب القائل إن الفكرة اكتسبت شرعية اجتماعية وشعبية. والقائل هذا لا يلحظ حقيقتين تاريخيتين: أن تلك الأحزاب ما عدمت جماهيرية ونفوذاً في الناس في ذلك الإبان، بل هي نافست الأحزاب الوطنية والاستقلالية في شعبيتها ونفوذها، كما أن النضال الذي خيض تحت عناوين قومية اتسعت دائرته الاجتماعية والجغرافية بحيث انخرط فيه من لم يكونوا منتمين إلى الأحزاب القومية في المشرق، ومن لم تكن لديهم أحزاب قومية أصلاً في بلدانهم كما في حالة المغرب العربي والخليج العربي. وهذا يسقط حجة من يحتسب الفكرة القومية فكرة نخبوية يتردد صداها حصراً بين المثقفين والحزبيين.

ولمستزيد نزيد فنقول إن حال هذه الشعبية الكاسحة للفكرة القومية إنما تبينت أكثر في سنوات الخمسينيات والستينيات: سنوات الناصرية بامتياز. وقد لا تكون شعبية عبدالناصر مسبوقة في التاريخ العربي: قديماً وحديثاً. ولم تصطنعها أجهزة السلطة والدعاية كما قد يقول البعض. وحتى إذا ما ذهب البعض هذا المذهب في تفسيرها، فإن مزعمه إن كان ينطبق على مصر وهو لا ينطبق فبم يفسر تلك الشعبية الكاسحة للرجل خارج مصر: في كل أرجاء الوطن العربي حيث ملايين الناس الذين تفاعلوا معه ليسوا في جملة من يخضعون لسلطان دولته؟ ثم بم عساه يفسر استمرار صورة عبد الناصر ومكانته في الوجدان الجمعي العربي بعدر حيله بسنوات وعقود؟ وما أغنانا عن القول إن شعبية الناصرية من شعبية الحركة القومية التي كانت قيادتها في ذلك الإبان مصرية (ناصرية). وبذلك، يبطل الزعم بنخبوية التيار القومي، ويتكرس الدليل على ما كان له من كبير نصيب من الشرعية التاريخية.

على أن هذا الانتقال السريع من الفكرة إلى الحركة ما كان ليحصل من دون أن تكون له مضاعفات سلبية، ومنها أن الفكرة التي كانت في طور الإنضاج النظري، وكانت ينتظر منها أن تفرج عن رؤية عميقة لمسائل ذات أهمية بالغة في عملية التوحيد القومي، كالدولة والسلطة والعلاقة بين الأقاليم والمركزية والاندماج واللامركزية والاتحاد والعلاقات الاقتصادية بين المركز والأطراف وأشكال التداول على السلطة، سرعان ما أخرجت (أي الفكرة) من حيز البناء النظري قبل أن تكتمل نضجاً لتتعرض لعملية تسييس كان من نتائجها تأسيس العمل القومي العربي على الدوغما الإيديولوجية، وانفصال المؤسسة الحزبية القومية عن ميدان الفكر القومي وجنوحها للشعبوية.

وتر الكلام

نتيجة

سعاد زاهر

«اتركي شيئاً للمستقبل» حين كان يقول لها جملته الشهيرة ويعقبها بأخرى أقل وطأة لم تر شيئاً بعد من الحياة...!

كانت لا تعير كلامه أي انتباه، مضى الوقت طويلاً ، وكلما كانت تسمع كلام من مروا قبلها على الحياة، تنتفض معتقدة أن العمر لن يباغتها كما فعل بهم.

الظهور المحنية، والشعر الأبيض والسمع الثقيل، وكل علامات التقدم بالعمر، لطالما توقعتها مجرد إكسسوار، لا تدري ماذا يعتمل داخل الجسم...؟

اليوم بعد أن غدر بها الزمن، وهي في عيادة الانتظار، تشعر بخفقات قلبها تتسارع وقلبها يكاد يخرج من مكانه، رغم أن ألمها بسيط، إلا أنه الطبيب الخامس الذي تعرج على عيادته منذ أقل من أسبوعين...

حين سألتها الجالسة قبالتها: لماذا تفعلين هذا؟ أجابتها وهي عاجزة عن إخراج الكلمات بشكل مترابط، وتكاد تغيب عن وعيها، وأشارت إلى أمكنة الألم، لكن الجالسة مقابلتها فاجأتها حين أشارت إلى ابنتها التي لم تتجاوز عامها العشرين ترتدي «بيجامة» حمراء وتضع على أذنيها سماعات أذن، كأنها غائبة عن كل شيء حولها، اقتربت منا بعد أن استرعى انتباهها أن والدتها تتحدث عنها، بدت بوجهها الأصفر حائرة، غارقة في حزن يناسب امرأة ستينية.

التفت إلى كل الوجوه في تلك العيادة الكبيرة المتاخمة لشوارع جميلة، خارجها يعبر ناس لا يدرون بآلام من دخلوا هذه العيادة ولم يخرجوا منها إلا بعد أن دفعوا مبالغ تعد خيالية بالنسبة لدخلهم.

خرجوا كما دخلوا...!

لم يفقهوا أي شيئاً سوى أنهم يمسكون بمعدتهم من جراء «التنظير» ويضغطون على تلك اللصاقة الصغيرة التي سحبت منها ممرضة لطيفة بضع قطرات من الدم بعدها، تقول للمرء: لا تعاني من أي شيء...!

إنها مجرد آلام عصبية، من التوتر، من الجو، من البيئة المحيطة بك، وتطالبك ببعض الحمية، وتتساءل وأنت تخرج من تلك العيادة الأنيقة إلى تقاطع الشوارع المزدحمة: ترى هل كانوا يعرفون النتيجة من البداية، وهل حقاً صحيحة...؟

الجذور التاريخية للقومية العربية

علي حبيب

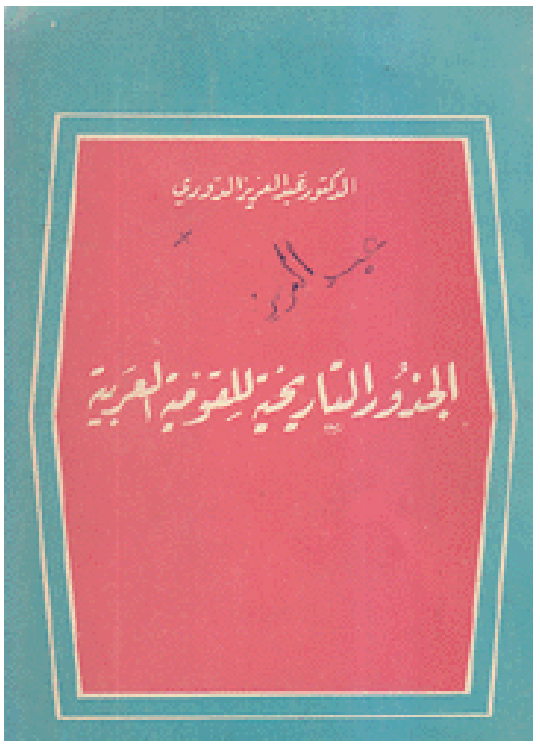

يشكل كتاب عبد العزيز الدوري الجذور التاريخية للقومية العربية مرجعاً مهماً لا غنى عنه لأي باحث في الفكر القومي العربي ويعالج هذا الكتاب المسار التاريخي للقومية في البلاد العربية، ويُعرض الفكرة من فترة بدايتها إلى الوقت الحاضر.

ودار موضوع الكتاب في محورين:

أولاً: تأكيد الذات والاعتزاز بها إذ يقول عبد العزيز الدوري إن أوليات الوعي العربي كانت مُبهمة وفوضوية في بدايتها، وعزا ذلك للوضع السياسي والاجتماعي التي عاشته الجزيرة العربية قبل الإسلام، ومع مجيء الإسلام أصبح الدين المرجع الأساس في إيقاظ الوعي، إذْ تطورت نظرة العرب من عبادة الآلهة (فردية) للقبائل إلى آلهة أعم وأشمل، والاشتراك في العبادة في بيئة موحدة. وهذا التوحيد لا يتصل بالمسيحية التي دعمتها السياسة البيزنطية آنذاك، ولا إلى اليهودية التي كانت تتمتع ببعض الحماية الساسانية، بل اتجهت عقيدتهم إلى الأعلى والأسمى إلى «الله»، فقد عمل الإسلام على إيقاظ الوعي العربي، وتوحيد الكلمة والقيادة... وتشكلت حركة عربية في بيئتها وفي لغتها وفي رسالتها، وهي تنشد الوحدة السياسية، وتنكر الانقسام والتجزئة، وترفض التبعية، وهي تتجه إلى تكوين قِيم ومُثل مُوحدة، وتتخذ وجهة مَدنية في الحياة اليومية. تلت هذه المرحلة فتوحات إسلامية جابت الأسفار والأمصار، ونشرت السيادة للعرب والمسلمين، وفُتِحَت أبواب من المعمورة، ولم تتوقد شعلة العلوم والمعرفة إلاّ بعد إرساء دعائم الدولة (خاصة في بداية العصر العباسي) حيث اشتغل العرب في تأكيد ذاتهم بظهور الدراسات والبحوث العربية، وحركة التدوين والتأليف والتصنيف، لغوية وتاريخية وتجريبية، وبرزت الدراسات الإسلامية المتخصصة كدراسة القرآن والحديث جنب الدراسات الفقهية. فنشأت المدارس الفقهية الأولى ومهدت لظهور المذاهب الفقهية الأخرى فيما بعد٢... وقد صارت هذه المدارس قاعدة الثقافة العربية وأساس تكوينها.

يقول الكاتب مستدركاً السّرد التاريخي للقومية العربية «لن يفيدنا أن نمجد هذه الحضارة ولكننا نريد معرفة الجذور، وإذا كانت الحضارة العربية قد ازدهرت، فذلك بسبب التحرر الفكري وسعة الأفق والجرأة العلمية، وبسبب البحث عن الحقيقة واحترام آراء الغير واجتهادهم مهما اختلفوا... ولذا ركد العرب حين مالوا إلى التقليد وحين تضاءل نطاق الحرية الفكرية « (ص. ٢١).

إن الوعي العربي استند إلى أسس ثقافية بالدرجة الأولى، وإنه اتخذ وجهة إنسانية في مراحل تطوره وإن هذا التطور كَون له جذوراً راسخة هي بذاتها الأسس الاجتماعية والثقافية للقومية العربية.

ثانياً: ظهر الوعي القومي في القرن التاسع عشر، وقد مهدت له مُحاولات نشر التعليم وبث الثقافة وخاصة في لبنان وسورية ومصر، وكانت من آثاره بداية الغزو الغربي التي بدأت بحملة نابليون ١٧٩٨م، والإرساليات الأجنبية في القسم الثاني منه، وتغلغل الأفكار والعادات الغربية. وتمثل هذا الوعي في الاهتمام باللغة العربية واعتبارها أحد مقومات العروبة، ونجد أن النشاط الثقافي الذي قامت به الجمعيات الأولى التي تأسست في البلاد العربية ك «الجمعية العلمية السورية التي تأسست في بيروت سنة ١٨٥٧م، والحلقة الثقافية التي تكونت بدمشق في أواخر القرن التاسع عشر حول الشيخ طاهر الجزائري، ثم الحلقة الثقافية الصغيرة بدمشق التي تبلورت في سنة ١٩٠٣م بجمعية سرية وأثمرت في جمعية النهضة العربية سنة ١٩٠٦» (ص. ٥٠) كان لها بعد سياسي كذلك. وكان لاحتكاك الثقافي مع الغرب في الأول الأمر، ثم اصطدام العرب الاستعمار لاحقاً أثر في تجلية الجذور التاريخية للقومية العربية وتماسكها وترصين مفاهيمها. فقد رَحب العربُ بمفاهيم الحرية، وحرِصوا على الأخذ بما يُمكنهم من تحسين أمورهم المعيشية والاقتصادية، إلا أنهم لم يكونوا مستعدين للتخلي عن تراثهم أو إنكار ذاتهم، فاشتد حرصهم على تأكيد الذات؛ يلخص ذلك المويلحي عندما يقول «السبب الصحيح في ذلك هو دخول المدنية الغربية بغتة في البلاد الشرقية، وتقليد الشرقيين للغربيين في جميع أحوالهم ومعايشهم، لا يستنيرون ببحث ولا يأخذون بقياس، ولا يتبصرون بحسن نظر ولا يلتفتون إلى ما هنالك من تنافر الطباع وتباين الأذواق واختلاف الأقاليم والعادات، ولم ينتقوا منها الصحيح من القبيح، بل يأخذوها قضية مسلم بها، وظنوا أن فيها السعادة والهناء، وتوهموا أن يكونوا لهم القوة والغلبة، وتركوا لذلك جميع ما كان لديهم من الأصول القديمة والعادات السليمة والآداب الطاهرة، ونبذوا ما كان عليه أسلافهم من الحق ظهرياً، فانهدم الأساس وهوت الأركان وانقطعت فيهم الأسباب فأصبحوا في الظلام يهيمون».

وفي النهاية، ليست فكرة القومية فكرة طارئة أو مقتبسة بل هي نتيجة تطور الوعي العربي الذي تفجر ودام أكثر من أربعة عشر قرناً، يتمثل في حيوية جديدة تريد بعث الحياة في الأمة، وتريد كياناً خاصاً لها؛ وهذا ما يسعى إليه الوعي القومي الحديث الذي كانت بدايته في مطلع النهضة مع حركة المثقفين.

من صناع الجلاء.. إبراهيم هنانو

سلام الفاضل

ولد إبراهيم هنانو في بلد «كفر تخاريم» غربي مدينة حلب نشأ في أسرة غنية، حيث كان والده سليمان آغا أحد أكبر أثرياء مدينة حلب، ووالدته كريمة الحاج علي الصرما من أعيان كفر تخاريم، أتم الدراسة الابتدائية في كفر تخاريم، ثم انتقل إلى حلب حيث أتم دراسته الثانوية، قام إبراهيم بأخذ أربعة آلاف ليرة ذهبية من والده دون علمه ليدرس بالجامعة السلطانية في الآستانة، حيث كان والده يرفض سفره إلى الآستانة، وعاد إلى أهله بعد أربعة سنين ثم غادر مرة ثانية إلى إستانبول لينهي دراسة الحقوق بعد ثلاث سنين أخرى.

بعد إنهاء دراسته عين مديراً للناحية في ضواحي إستانبول لمدة ثلاث سنوات، حيث تزوج، بعد انقضاء هذه المدة تم تعينه قائم مقام بنواحي أرضروم ليبقي فيها أربع سنوات، ثم ليتم تعينه بعدها قاضي تحقيق في كفر تخاريم، حيث بقي فيها ما يقارب الثلاث سنوات.

انتخب عضواً في مجلس إدارة حلب لمدة أربع سنوات، و عين بعدها رئيساً لديوان الولاية لمدة سنتين وذلك عند رشيد طليع والي حلب، والذي شجعه على الثورة في الشمال بالتنسيق مع الملك فيصل، وتم انتخابه ممثلاً لمدينة حلب في المؤتمر السوري الأول في دمشق في دورة (١٩١٩ - ١٩٢٠)

مقاومة الاحتلال

تم عقد اجتماع في منزل قائم مقام إدلب عمر زكي الأفيوني نهاية عام ١٩١٩ برئاسة هنانو، ضم الاجتماع كبار ووجهاء إدلب والمناطق المجاورة لها، وعدداً من الوطنيين من أنطاكيا والحفة واللاذقية، لتنظيم شؤون الثورة، وتم الاتفاق على اختيار هنانو لتأليف قوات عربية على شكل عصابات من المجاهدين لمشاغلة الفرنسيين الذين احتلوا مدينة أنطاكية

قام هنانو بجمع أثاث بيته وأحرقه معلناً بداية الثورة وقال جملته المشهورة: «لا أريد أثاثاً في بلد مستعمر»، وكان أول صدام مسلح بين الثوار والقوات الفرنسية في ٢٣ تشرين الأول ١٩١٩، حيث استمر القتال لقرابة السبع ساعات، وأقام هنانو محكمة للثورة لكل من يتعامل مع فرنسا أو يسيء للثورة.

قامت فرق المجاهدين التابعة له، بإزعاج الفرنسيين محققة نجاحات ضخمة، فذاع صيت هنانو وكثر مريديه-.

قام الأمير فيصل بالتوقيع على معاهدة الانتداب مع فرنسا في عام ١٩٢٠، الأمر الذي رفضه السوريون، حيث تصادم مع عبد الرحمن الشهبندر قائلاً أنا من سلالة النبي، فرد الشهبندر: وأنا ابن هذا البلد، وأرفض كل وصاية، وأطالب بتشكيل حكومة قومية ثورية.

أصبح وضعه بعد فترة صعباً بسبب حاجته الماسة للسلاح والعتاد، فقد كان الضغط الفرنسي كبيراً، فاضطر إلى الاستعانة بأصدقائه في تركيا لطلب العون، مما أمن له سلاحاً وذخيرة كانت كافية لإلحاق أضرار فادحة بالفرنسيين في جميع المواجهات، سواء من ناحية الأفراد أو العتاد، ويبلغ عدد المواجهات بين الطرفين الآتي قادها بنفسه سبعاً وعشرين معركة، بل أنه في معركة مزرعة السيجري، استطاع أسر جنود فرنسيين، وقام باسترداد

مناطق واسعة من السيطرة الفرنسية منها منطقته التي ولد بها كفر تخاريم.

قام الفرنسيون على إثر ذلك بدخول دمشق ومن ثم حلب لقمع الثورة، ولجأ هنانو وقواته إلى جبل الزاوية، ضمن المنطقة المحصورة بين حماة وحلب وإدلب، فقام الكثير بالانضمام إليه هنالك مما سمح له بإنشاء قاعدة عسكرية ولتصبح المنطقة مقراً له. أطلق عليه أتباعه لقب المتوكل على الله بسبب قوله توكلنا على الله كلما ذهب مع قواته للإغارة على الفرنسيين.

قام بعدها بنقل منطقة قيادته إلى جبل الأربعين وازداد عدد أتباعه بسرعة بعد انتصاراته على الفرنسيين، فقام هنانو بإعلان دولة حلب وإقامة حكومة مستقلة بإدارته، على إثر ذلك بدأت مفاوضات بينه وبين الفرنسيين ممثلة بكل من الكولونيل فوان والجنرال غوبو، واشترط هنانو للبدء بالمفاوضات إيقاف تحرك القوات الفرنسية.

اتصالاته مع لينين

جاء في كتاب يوسف إبراهيم يزبك في كتابه أول نوار . ذكريات وتاريخ نصوص: «أخبرني الزعيم إبراهيم هنانو في إحدى الليالي اصطيافه في حمدون أن لينين أوفد إليه ضابطاً من القفقاس عرف هنانو قبل بضع سنوات وعمل معه في خدمة الحكومة العثمانية في ولاية حلب، وكان الضابط يحمل رسالة مكتوبة بالتركية يعرض فيها مساعدة الثورة السورية التي حمل سلاحها إبراهيم هنانو وإخوانه فلاحو جبل سمعان على الاحتلال الفرنسي بعد نكبة ميسلون، وسالت الزعيم هنانو عن مصير الرسالة، فأجاب أبو طارق رحمه الله: « إنها عدة رسائل وليست واحدة، تبودلت بيني وبين بطل البولشفيك لأجل إشعال نيران الثورات على الفرنسيين والإنجليز في تركية وسورية والعراق وفلسطين ومصر، وكان لينين مخلصاً فيما عرضه علي.

قام غورو بتقديم إنذار تضمن عدة شروط منها: تسليم خط رياق، حلب، وحل الجيش السوري، وقبول الانتداب الفرنسي، كما اشترط قبول العملة الورقية الفرنسية، وطالب بتغير الحكومة، فقام الملك فيصل بقبول الإنذار، وأرسل برقية لغورو يعلمه بذلك، إلا أن العسكريين رفضوا الإنذار، وقام يوسف العظمة بتقسم سوريا إلى عدة جبهات للتحضير لقتال الفرنسيين، قام بعد ذلك الملك فيصل بتكليف ياسين الهاشمي بتشكيل حكومة جديدة، مما أدى إلى خروج السكان في مظاهرات ومهاجمة القلعة (مقر الملك) مطالبين بتسليحهم، لكن الحرس الملكي يقتل منهم ما يقارب الـ ٢٠٠ شخص، ولينسحب يوسف العظمة من المؤتمر الوطني.

حكم على هنانو أربع أحكام غيابية بالإعدام من قبل محكمة الجنايات العسكرية الفرنسية، ومع سيطرة الفرنسيين على الطرق، ونقص الدعم العسكري لهنانو، اضطر في يوليو ١٩٢١ إلى مغادرة معاقله إلى الجنوب حيث حاول التفاوض مع الشريف عبد الله، في الطريق إلى شرق الأردن تعرض لكمين قرب جبل الشعر بالقرب من حماة في ١٦ تموز١٩٢١م، في معركة مكسر الحصان حيث فقد معظم من كان معه، واستطاع هو النجاة بنفسه.

تطلعات هنانو السياسية لم تكن ملائمة للشريف عبد الله ولم يتم اللقاء بينهما، فأكمل هنانو طريقه إلى القدس حيث قبض عليه الإنجليز في ١٣ آب ١٩٢١م وسلموه إلى الفرنسيين.

محاكمة هنانو

وبعد القبض على هنانو قدم إلى محكمة الجنايات العسكرية الفرنسية بتهمة الإخلال بالأمن والقيام بأعمال إجرامية، وعقدت المحاكمة أول جلساتها في (١٦ رجب ١٣٤٠ هـ = ١٥ آذار ١٩٢٢ م) في ظل إجراءات أمن مشددة، وترافع فتح الله الصقال أبرز محامي حلب للدافع عن هنانو، حيث أظهر أن التهمة باطلة كون هنانو خصماً سياسياً وليس مجرماً، بدليل أن الفرنسيين قبلوا بالتفاوض معه مرتين ووقعوا معه هدنة.

في ٢٥ آذار ١٩٢٢م طالب النائب العام الفرنسي المحكمة بإعدامه قائلا « لو أن لهنانو سبعة رؤوس لطلبت قطعها جميعاً».

كان هنانو أحد أعضاء الكتلة الوطنية، وتولى زعامة الحركة الوطنية في الشمال السوري، في عام ١٩٢٨ تم تعينه رئيساً للجنة الدستور في الجمعية التأسيسية لوضع الدستور السوري، إلا أن المفوض السامي الفرنسي سعى إلى تعطيل الجمعية التأسيسية والدستور مما أدى إلى خروج مظاهرات تطالب بتنفيذ بنود الدستور، وفي عام ١٩٣٢ وفي مؤتمر الكتلة الوطنية انتخب إبراهيم هنانو زعيماً للكتلة الوطنية، وفي عام ١٩٣٣ لعب دوراً في استقالة حكومة حقي العظم، بسبب نيتها الموافقة على المعاهدة الفرنسية.

محاولة اغتياله

في أيلول ١٩٣٣م قام شخص يدعى نيازي الكوسى، بإطلاق النار على هنانو في أثناء وجوده في قريته إلا أن الرصاص أصاب قدمه، وتم القبض على الكوسى في أنطاكية، وحكم بالسجن عشر سنوات، إلا أن المفوض السامي الفرنسي أصدر عفواً خاصاً بحق الكوسى مما دفع الجميع للاعتقاد بعلاقة الفرنسيين بحادثة الاغتيال.

وفاته

بسبب تحركاته الكثيرة بين الجبال بدون ملجأ أو حماية من الجو أصيب هنانو بالسل، وأصبح مرضه مزمناً، وتوفي بسببه في يوم الخميس الموافق ٢١ تشرين الثاني ١٩٣٥م، وصلي عليه في الجامع الأموي في حلب.

شاعر وقصيدة

شفيق جبري.. حلمٌ على جنبات الشام

حلمٌ على جنبات الشام أم عيدُ؟
لا الهمُّ همٌّ ولا التسهيد تسهيدُ

أتكذب العينُ والراياتُ خافقةٌ
أم تكذب الأذنُ والدنيا أغاريد؟

ويلَ النماريد لا حسٌّ ولا نبأٌ
ألا ترى ما غدتْ تلك النماريد؟

كأنّ كلّ فؤاد في جلائهمُ
نشوانُ قد لعبتْ فيه العناقيد

ملءُ العيون دموعٌ من هناءتها
.فالدمعُ دُرٌّ على الخدّين منضود

لو جاء «داودُ» والنُعمى تُضاحكنا
لهنّأ الشامَ في المزمار داود

على النواقيس أنغامٌ مسبّحةٌ
وفي المآذن تسبيحٌ وتحميد

لو يُنشد الدهرُ في أفراحنا ملأتْ
جوانبَ الدهر في البشرى الأناشيد

هذي بقاياك يا «حِطّينُ» بدّدها
للّه ظلٌّ بأرض الشام ممدود

ليت العيونَ «صلاحَ الدين» ناظرةٌ
إلى العدوّ الذي ترمي به البيد

اضربْ بعينكَ، هل تلقى له أثراً؟
كأنه شبحٌ في الليل مطرود

ظنّ اجتياحَكَ مأموناً فشرّدهُ
حدُّ السيوف وللأسياف تشريد

لم يبقَ غُلٌّ على ربع تُظلّلهُ
تشقى به اليدُ أو يشقى به الجِيد

أضحى رفاتُكَ في أمن وفي دعةٍ
سيفُ العدو على الأحقاب مغمود

أين الأعاجمُ؟ ما حلّوا وما رحلوا
كأنهم حُلُم في الفجر مردود

من كان يحسب أن الشام يلفظهم
وأن طيفَهمُ في الشام مفقود؟

تمكّنوا من جبال الشام واعتصموا
فكل حصنٍ على الأجيال مِرّيد

فما حمتْهم قلاعٌ في مشارفها
ولا أظلّهمُ حشدٌ وتجنيد

أينَ القلاعُ على الأطواد عاتي؟
وأين منها تهاويلٌ وتهديد؟

أيحسبون قصيفَ الرعد مَرْعبةً؟
قصيفُ رعدهمُ في السمع تغريد

فما القواذفُ بالنيران هادمةٌ
حوضاً تعهّده قومٌ صناديد

ظِلُّ العروبة إن يغضبْ لوارفه
يغضبْ له الغُرُّ من «عدنانَ» والصِّيد

يا يومَ «أيّارَ» والنيرانُ ملهبةٌ
على «دمشقَ» تُلظّيها جلاميد

ذكرى سجونكَ ما تنفكّ ماثلةً
لم يُمْحَ من هولها عيدٌ وتعييد

هذي ضحاياكَ في الأيام آبدةٌ
وللضحايا على الأيام تأبيد

الطفلُ في المهد لم تهدأ مضاجعُهُ
مُروّعٌ من لهيب النار مكمود

تلفّه أُمُّه ما بين أضلعها
ومُوقِدُ النارِ مِطرابٌ وغِرّيد

فقلْ لصحبكَ والأمواجُ تحملهم
هل الحضارةُ تذليلٌ وتعبيد؟

يا نازحين ونارُ الجرح تأكلكم
وما لجرحكمُ بُرْءٌ وتضميد

تلك التقاليدُ ألقينا سلاسلَها
ألم تَرَوْا ما جنتْ تلك التقاليد؟

جنّاتُ عَدْنٍ رتعتُم في نواضرها
خلّيتُموها ولا ماءٌ ولا عود

للمُلْك رهطٌ ولستم من أراهطهِ
ضاعتْ بأيديكمُ منه المقاليد

هل انتُدِبتُم إلى توطيد دولتكم
بالعنف؟ هيهات ما في العنف توطيد

لا تستقيم مع التهديم مملكةٌ
وإنّما المُلْكُ بنيانٌ وتخليد

أَغَرّكم من شباب الشام يومُهمُ
«بميسلونَ» وللأيام تنكيد؟

جئتم حِماهم فلم يملك جفونَهمُ
غمضُ الليالي، وهل يغفو المقاييد؟

ما نامتِ الشامُ عن ثأر تُبيّتهُ
هيهات ما نومُها في الثأر معهود

تكاد تُفلت من أكفانها رِمَمٌ
لِتشهدَ الثأرَ، يومُ الثأر مَشهود

لو استطاعتْ لهبّتْ من مدافنها
تسعى الزّرافاتُ فيه والمواحيد

يا «ميسلونُ» وما الأحداثُ مُنسيةً
ذكرى تُفيِّئُها تلك الأماليد

هذي دماؤكِ ما تنفكّ دافقةً تجري بها
في حِمى الوادي الأخاديد

من باب واديكِ هاج العِلجُ أدمعَنا
وبابُكِ اليومَ دون العلج مسدود

ثارتْ لكِ الشامُ لم تقهر مرابعَها
شدائدٌ غلغلتْ في جوّها سُود

وكلّما بليتْ أفوافُ غوطتها عادتْ وفي
الغوطة الغَنّاء تجديد

خلتْ ملوكٌ وأرضُ الشام طاويةٌ
تاجَ الملوك، وتاجُ الشام معقود

يا فتيةَ الشام للعلياء ثورتُكم
وما يضيع مع العلياء مجهود

جُدتُم فسالتْ على الثورات أنفسُكم
عَلّمتُمُ الناسَ في الثورات ما الجُود

بنيتُمُ الملكَ من أشلاء عِترتكم
يُوطّد الملكَ مهشومٌ ومحصود

تلكم «قريشٌ» وأنتم في ذؤابتها
تُوحي إليكم على الأيام أَنْ سُودوا

وللعروبة في أظلالكم لَجَبٌ لها
من الوحي والقرآن تأييد

ما في النعيم عن استقلالكم عِوَضٌ
وكيف يَنعمُ مَغلولٌ ومصفود؟

فإن جمعتُم شتاتَ الأمر بينكمُ
فالملكُ مُتّسعُ الأفياء مولود

إن لم تكن «مُضرُ الحمراءُ» سيّدةً
فما يُقِرّ عيونَ العرب تسويد

نقش سوري

فارس الخوري

فارس الخوري رجل دولة سوري ووزير ورئيس وزراء ورئيس برلمان والأب الروحي للسياسة السورية المعاصرة، ولد في قرية الكفير التابعة حالياً لقضاء حاصبيا (حالياً بلبنان، التي كانت آنذاك جزءاً من سوريا)، وفي عام ١٩١٤، انتخب نائباً عن دمشق في مجلس (مبعوثان) العثماني، بعد تاريخ من النضال ضد العثمانيين ثم ضد الفرنسيين أصبح فارس الخوري رئيساً لوزراء سوريا من ١٤ تشرين الأول ١٩٤٤ إلى ١ تشرين الأول ١٩٤٥ ومن ١٩٥٤ إلى ١٣ شباط ١٩٥٥،

دخل فارس الكلية الإنجيلية السورية، والتي سميت بعد ذلك الجامعة الأميركية في بيروت، ولكن المرسلين الأميركيين لم يمكنوه من الاستمرار، فقد عينوه من جديد في مدرستهم بقرية مجدل شمس عام ١٨٩٢، ثم نقلوه إلى صيدا، وفي عام ١٨٩٤ عاد للدراسة في الجامعة الأميركية وحصل على شهادة بكالوريوس في العلوم عام ١٨٩٧، وكانت هذه الشهادة في ذلك الحين شهادة ثقافية عامة ليس فيها اختصاص في أحد فروع العلوم والآداب، دعاه رئيس الجامعة للتدريس في القسم الاستعدادي كمعلم للرياضيات واللغة العربية.

دُعي فارس الخوري لإدارة المدارس الأرثوذكسية في دمشق، ولإعطاء بعض الدروس في مدرسة تجهيز عنبر (مكتب عنبر)،

ثم عُين ترجماناً للقنصلية البريطانية (١٩٠٢. ١٩٠٨) حيث أكسبته وظيفته الجديدة نوعاً من الحماية ضد استبداد الحكم العثماني.

لم يترك فارس الخوري الدرس والتحصيل، بل ظل منكباً على الدراسة والمطالعة فدرس اللغتين الفرنسية والتركية لوحده من دون معلم وبرع فيهما، كما أنه أخذ يطالع الحقوق لنفسه، وامتهن المحاماة بدمشق، وتقدم بفحص معادلة الليسانس بالحقوق فنالها. في عام ١٩٠٨م انتسب لجمعية الاتحاد والترقي فكان هذا أول عهده بالسياسة.

انتخب فارس الخوري سنة ١٩١٤ نائباً عن دمشق في مجلس (المبعوثان) العثماني، وفي سنة ١٩١٦ سجنه جمال باشا بتهمة التآمر على الدولة العثمانية، لكنه بُرئ ونفي إلى إستانبول، حيث مارس التجارة هناك.

في أول حكومة عربية وفي مجلس الشورى في ٢٧ أيلول ١٩١٨ اجتمع فارس وفريق من الوجهاء والمفكرين في بهو المجلس البلدي في ساحة المرجة في دمشق وقرروا إقامة حكومة مؤقتة تحول دون الفوضى ريثما يصل الأمير فيصل وكتائب الثورة العربية المنتصرة.

وكان فارس عضواً في هذه الحكومة التي جعلوا من سعيد الجزائري رئيساً لها والتي كان من أعضائها شكري الأيوبي وشاكر الحنبلي، ومع أن هذه الحكومة لم يُكتَب لها الاستمرار إلا أنها تبقى منذ عهد الأمويين وبعد جلاء العثمانيين أول حكومة عربية تعلَن في دمشق، في الأول من تشرين الأول سنة ١٩١٨ وصلت القوات العربية وجيوش الحلفاء إلى دمشق بقيادة الأمير فيصل الذي وصل في الثالث من تشرين الأول على رأس الجيش العربي، وتشكلت حكومة عسكرية برئاسة الفريق رضا باشا الركابي، وكان أعضاؤها كلاً من عادل أرسلان وبديع المؤيد وعطا الأيوبي وياسين الهاشمي وفارس الخوري، وكانت هذه الحكومة تعمل تحت إشراف الأمير فيصل قائد الجيوش الشمالية وممثل والده الملك حسين وتحت قيادة الجنرال اللنبي القائد العام لقوات الحلفاء،

وخلال عهد هذه الحكومة انعقد المؤتمر السوري، وجرت التشكيلات والتغييرات الإدارية والتعيينات وتم وضع قانون أساسي للبلاد.

ولكن جيوش فرنسا بدأت في الثامن من تشرين الأول ١٩١٨ احتلال الساحل تنفيذاً لخطة دُبِّرَت سلفاً، فالقيادة العليا البريطانية كانت قد قسمت سورية الطبيعية التي اعتبروها «بلاد العدو المحتلة» إلى مناطق عسكرية ثلاث هي: المنطقة الجنوبية (أي فلسطين) بقيادة إنكليزية، المنطقة الغربية (أي الساحل الممتد من جبل عامر إلى ما وراء خليج إسكندرونة وتشمل جبل لبنان وبيروت واللاذقية بقيادة فرنسية، والمنطقة الشرقية (أي سورية الداخلية) وتضم الجمهورية السورية ومملكة الأردن بقيادة عربية، وعُهِدَ بالحكم فيها إلى الأمير فيصل، ورغم أن هذه المنطقة الشرقية لم يكن لها ساحل ولا مرفأ ولا عائدات جمركية مستقلة، وعلى الرغم من كل الصعوبات التي خلقها الفرنسيون كي لا تتمتع هذه المنطقة باستقلالها فقد أُنشِئت فيها قواعد دولة عربية مستقلة، عاصمتها دمشق فأصبحت قبلة المتطلعين إلى الاستقلال والحرية وصار يؤمها رجالات العرب من كل صوب.

فاجعة ميسلون

في تلك الفترة كان الجنرال ورو الذي عينته فرنسا في تشرين الثاني ١٩١٩ قائداً أعلى (ثم سُمّيَ فيما بعد مفوضاً سامياً في البلاد الواقعة تحت الانتداب الفرنسي) يعزز جيشه في الساحل ويستعد لاحتلال ما بقي من سورية خلال الأشهر التي انقضت بعد مؤتمر سان ريمو للحلفاء في إيطاليا الذي كان قد وزع الانتدابات على البلاد العربية بين الدول الطامعة بالحكم بحيث تصبح فلسطين والعراق تحت انتداب إنكلترا وسورية تحت انتداب فرنسا، وبالفعل زحف غورو إلى دمشق، وكانت معركة ميسلون التي استُشهِدَ فيها يوسف العظمة في ٢٤ تموز ١٩٢٠.

الغزو الفرنسي (١٩٢٠ - ١٩٢٣)

وعلى إثر احتلال الفرنسيين لسورية عام ١٩٢٠ انصرف الخوري إلى العمل الحر كمحام، ثم انتخب نقيباً للمحامين واستمر خمس سنوات متتاليات، وعضواً مؤسساً في المجمع العلمي (الذي هو اليوم المجمع اللغوي بدمشق)، ومشاوراً قانونياً في بلدية دمشق (وهي اليوم المحافظة)، وعين أستاذاً في معهد الحقوق العربي لتدريس مادتي أصول المالية وأصول المحاكمات الحقوقية، لفارس الخوري ثلاث مؤلفات في القانون هي: (أصول المحاكمات الحقوقية) و(موجز في علم المالية) و(صك الجزاء).

مشروع الفيجة

في سنة ١٩٢١ فكر الفرنسيون في مشروع جر مياه الفيجة إلى منازل دمشق وفي إعطاء امتياز المشروع إلى شركة فرنسية، وعندما طلب رئيس البلدية من فارس الخوري المشاور الحقوقي للبلدية دراسة المشروع تبين لفارس أن شروط الامتياز تضر بمصلحة السكان، فسجل اعتراضاته، واقترح تأسيس مشروع وطني تكون فيه المياه ملكاً للأمة وأنهى دراسته بوجوب رد المشروع، وعلى هذا النحو، وبعد هذه الحادثة بحوالي السنة اجتمعت لجنة من تجار دمشق وأغنيائها وبحثت موضوع تأسيس شركة تجارية لتوزيع المياه، لكن معارضة فارس الخوري كانت شديدة لأنه لم يشأ أن تكون استثمارية بل عمومية ولذلك أسرع وقدم في اليوم التالي مشروعاً وطنياً مفصلاً هو الذي اُعتُمِدَ ونُفِّذَ ومازال قائماً حتى يومنا هذا.

في عام ١٩٢٦ نفي الفرنسيون فارس الخوري إلى خارج سورية بسبب استقالته من منصب وزير المعارف في حكومة الداماد أحمد نامي بك احتجاجاً على سوء نوايا الفرنسيين.

شارك فارس الخوري وعدد من الوطنيين في تأسيس الكتلة الوطنية، وكان نائباً لرئيسها يضع القرارات ويكتب منشوراتها، وهذه الكتلة قادت حركة المعارضة والمقاومة ضد الفرنسيين، وكانت من أكثر الهيئات السياسة توفيقاً وفوزاً مدة تقارب العشرين عاماً.

على أثر الإضراب الستيني الذي عم سوريا عام ١٩٣٦ للمطالبة بإلغاء الانتداب الفرنسي تم الاتفاق على عقد معاهدة بين سوريا وفرنسا، ويقوم وفد بالمفاوضة لأجلها في باريس، فكان فارس الخوري أحد أعضاء هذا الوفد ونائباً لرئيسه.

انتخب فارس الخوري رئيساً للمجلس النيابي السوري عام ١٩٣٦ ومرة أخرى عام ١٩٤٣، كما تولى رئاسة مجلس الوزراء السوري ووزيراً للمعارف والداخلية في تشرين أول عام ١٩٤٤، وكان لتولي فارس الخوري رئاسة السلطة التنفيذية في البلد السوري المسلم وهو رجل مسيحي صدى عظيم فقد جاء في الصحف: (... وأن

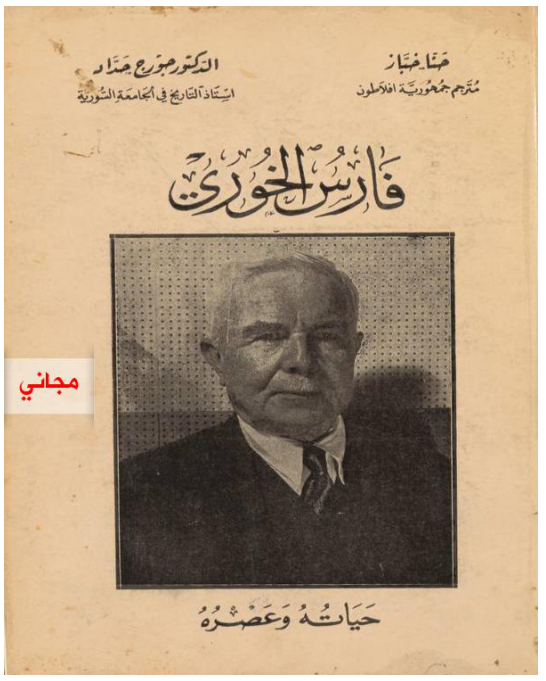

مجيئه إلى رئاسة الوزراء وهو مسيحي بروتستانتي يشكل سابقة في تاريخ سورية الحديث بإسناد السلطة التنفيذية إلى رجل غير مسلم، مما يدل على ما بلغته سورية من النضوج القومي، كما أنه يدل على ما اتصف به رئيس الدولة من حكمة وجدارة)، وقد أعاد تشكيل وزارته ثلاث مرات في ظل تولي شكري القوتلي رئاسة الجمهورية السورية.

رئيس الوزراء المصري محمود فهمي النقراشي (يمين) مع نظيره السوري فارس الخوري عام ١٩٤٤.

في عام ١٩٤٥ ترأس فارس الخوري الوفد السوري الذي كُلّف ببحث قضية جلاء الفرنسيين عن سوريا أمام منظمة الأمم المتحدة، التي تم تأسيسها في نفس العام، حيث اشترك الخوري بتوقيع ميثاق الأمم المتحدة نيابة عن سورية كعضو مؤسس.

كما ألقى الخوري خطبة في المؤتمر المنعقد في دورته الأولى نالت تقدير العالم وإعجابه، حيث أبدى فيها استعداد بلده سورية وشقيقاتها العربيات لتلبية نداء البشرية من أجل تفاهم متبادل أتم، وتعاون أوثق، كما تحدث فيها عن خطورة المهمة الملقاة على عاتق المؤتمر، وأظهر تفاؤله في إمكانية تحقيق الفكرة السامية التي تهدف إليها المنظمة العالمية، وبناء على جهوده فقد منحته جامعة كاليفورنيا (الدكتوراه الفخرية) في الخدمة الخارجية اعترافاً بمآثره العظيمة في حقل العلاقات الدولية.

انتخب فارس الخوري عضواً في مجلس الأمن الدولي (١٩٤٧-١٩٤٨)، كما أصبح رئيساً له في آب ١٩٤٧، إضافة لاهتمامه بوطنه سوريا اهتم بالقضية الفلسطينية اهتماماً خاصاً، وأكد رفض الدول العربية إقامة دولة لليهود فيها، كما شرح القضية المصرية وطالب بجلاء الإنجليز عن أراضيها، وأكد على السلام العالمي وطالب بإنهاء تنافس الدول الكبرى، وحذر من وقوع حرب ذرية مدمرة، ولطالما ضجت هيئة الأمم بخطبه ومناقشاته باللغة الإنجليزية من أجل نصرة الحق في القضية العربية.

وفي ٢٩ تشرين الأول ١٩٥٤: تشكيل حكومة جديدة برئاسة فارس الخوري، هي الأولى بعد الانتخابات التشريعية التي أعقبت سقوط حكم أديب الشيشكلي، ضمت الحكومة في عضويتها: فيضي الأتاسي وزيراً للخارجية، رشاد جبري للدفاع الوطني، أحمد قنبر للداخلية، فاخر الكيالي للاقتصاد الوطني، رزق الله أنطاكي للمالية، عبد الصمد الفتح للزراعة، مجد الدين الجابري للأشغال العامة والمواصلات، منير العجلاني للمعارف، علي بوظو للعدل، محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل) للصحة والإسعاف العام، لكنها لم تستمر سوى أشهر معدودة، فيها.

مرضه ووفاته

شكري القوتلي يزور فارس الخوري في مستشفى السادات بدمشق، وفي الوسط كوليت خوري.

في ٢٢ شباط ١٩٦٠، أصيب فارس الخوري بكسر في عنق فخذه الأيسر بغرفة نومه، وكان يعاني من آلام المرض الشديد في مستشفى السادات بدمشق، حينما منح جائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية من قبل الرئيس جمال عبد الناصر بناء على توصية المجلس الأعلى للعلوم والفنون.

كانت وفاة فارس الخوري مساء الثلاثاء ٢ كانون الثاني ١٩٦٢، في مستشفى السادات بدمشق.

الوجه الآخر لبيكاسو في مئويته الأولى

دلال ابراهيم

يبدو أن إعلان عام ٢٠٢٣ (عام بيكاسو) والاحتفال بالمئوية الأولى لميلاده عبر إقامة العديد من المعارض والفعاليات في مختلف العواصم الأوروبية والأميركية، لن يمر مرور الكرام، بحيث لن يبقى التركيز على عبقريته وأعماله فحسب، بل وستتناول حياته الشخصية، بعدما تلطخت سمعته مع ارتفاع الأصوات المناهضة له رغم عبقريته بسبب كراهيته للمرأة ومعاملته السيئة لزوجاته العديدات. وتلك مسألة أثارتها حركة #metoo النسوية، منذ أعوام الثمانينات. وقد رأت الحركة أن العديد من أعمال الفنان المثيرة للجدل رسمت صورة سلبية لمعبود الفن في القرن العشرين، أعمال تغذت من علاقاته مع النساء في حياته. وتعترف سيسيل دوبري، مديرة متحف بيكاسو- باريس أن الحركة المذكورة قد اساءت لصورة الفنان عبر البودكاست النسوي التي ألفته جولي بوزاك، وفيه خصصت حلقة عن بابلو بيكاسو بعنوان :(فصل الانسان عن الفنان) وقد تابعه ٢٥٠ ألف شخص. وهذه المسألة لم يعترض عليها لا المتحف المقام باسمه ولا حفيده اوليفييه، والذي يعترف قائلاً :» دون نسائه، كانت أعماله ستكون منقوصة «، ولكنهم يتمنون أن يتم تناول هذه المسألة بعدالة. وحول هذا البودكاست علقت صوفي شوفو مؤلفة كتاب (بيكاسو، المينوتور) - المينوتور **Minotaure** هو في المثولوجيا اليونانية، كائن خرافي جسمه جسم إنسان ورأسه رأس ثور، يتغذى من لحوم البشر- بقولها :» سيطرة العبقرية التي لا تقاوم والمدمرة على أولئك اللواتي أحبهن». وحول كتابها تعترف شوفو أنها وخلال بحثها لسنوات عديدة حول بيكاسو لم تستطع أن تجد مدخلاً إلى أرشيفه العائلي. وفي كتابها تستحضر شوفو صورة رسام -لامع- بقدر ما هو رجل عنيف و غيور و فاسد و مدمر ، و مُغوعظيم لا يتردد في احتلال قلوب الشابات وإساءة معاملتهن.

هذا التأمل في بيكاسو والنظرة النسوية أو الأنثوية على عمله هو نقاش حالي بشكل بارز ، يجب عدم تحويله أو تصويره بشكل كاريكاتوري ، حسبما يعلق المدافعون عن الفنان..

وحول هذه المسألة التي طفت حديثاً، أي حول منطقية الفصل بين الإنسان والفنان يجدر بنا إلقاء نظرة على كتاب صوفي شوفو، عن هذا الوحش العبقري الذي اسمه- بابلو بيكاسو- كما أسمته والسؤال كيف نفصل أحدهما عن الآخر، نضع الإنسان الوحش على جانب وعلى الجانب الآخر نضع الفنان اللامع؟ تبدو النقاشات التي لا تنتهي حول الفنانين، وخاصة أولئك الذين يتصرفون تصرفات مريعة، أوأولئك الذين دعموا ايديولوجيات الكراهية، ميؤوس منها . ويبقى بيكاسو أحد أكثر الأمثلة المذهلة في تاريخ الفن. منذ مقدمتها التي كتبتها عن الكتاب، عبرت صوفي شوفو عن اكتشافها لشخصية بيكاسو التي تستوجب الإعجاب وتستوجب الشنق على حدّ سواء..تقول في كتابها: في عام

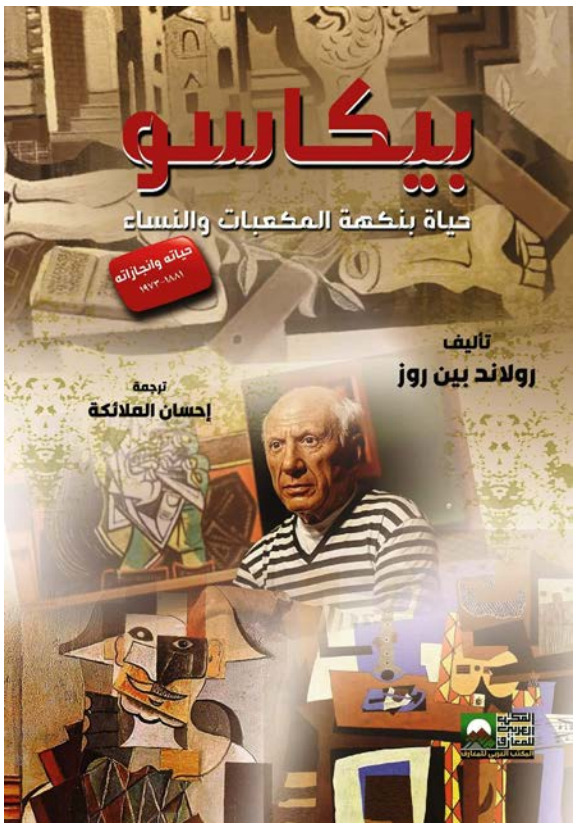

١٩٦٦، وكنت حينها في الثالثة عشر من عمري اكتشفت أعمال بيكاسو، وقد أحببته على الفور. ولكن تضيف بدأت أكرهه فيما بعد بسبب السلوك الذي كان يمارسه مع المقربين منه، ولا سيما زوجاته وصديقاته. ومع ذلك، تؤكد الكاتبة، بقي فنه يؤثر فيها:» لن يكون القرن العشرون ومن بعده القرن الواحد والعشرون كما كانا أو كما سيكونان من دون قوة هذا الرجل، ويمكن تلخيص ذلك بجملة واحدة» أنا لن أتخلص من الفنان ولا من الإنسان.»

توازن مثالي بين الإعجاب بالفنان وكراهيته كإنسان ، بين عالمية الأول وخسة الثاني ، بين هذه القدرة الفريدة التي لا تنضب للإبداع الجمالي الذي ينقله ويغوي العالم، والشهية المذهلة للسيطرة التي يلغي فيها حياة الآخرين ، بين هذه الموجات الحارة وهذا النوع من البرود والقسوة الساخرة التي لا تُرتوي أبداً. لا يعد العمل مهماً هنا ، فاللوحات القليلة التي تمّ الاستشهاد بها تخدم فقط كمعيار في مسار رحلة الذكر ، والأيقونة ، والنجم ، والطفل المتقلب.

وضمن هذا السياق، فإن قراءة هذه السيرة الذاتية، المكتوبة بشكل جيد، وموثقة أكثر، تثبت بما لا يدع مجالاً للشك أنها ليست بتلك البساطة، نظراً لأن وحشية الإنسان لا تزال تنعكس على الأعمال التي نفذها الفنان. إن اللوحات المفككة والمدمرة والمعذبة لصديقته درامار، التي كانت أشهر ملهمة للفنان بيكاسو، هي خير مثال على ذلك. العذاب المتواصل الذي ألحقه بهذه المرأة كان موضوع رسوماته. ومع ذلك، فنجن معجبون بتلك الأعمال، والتي تصور الألم الذي أصاب (الموديل) الذي تعامل معه الفنان بقسوة شديدة.

لأسباب وجيهة، ترسم صوفي شوفو صورة للفنان بيكاسو خالية من الرضا عن النفس. والحقيقة، من هنا أثبت بيكاسو الإنسان دفقاً من السخاء، إلا أن المهيمن في شخصيته هو تلك الغطرسة والكبرياء المعظّمة. وكان يحق له، فخلال مسيرة حياته ارتبط بصداقات واسعة مع شخصيات لها اعتبارها، مثل الشاعر ابولينير، ماكس جاكوب، إلوار، ميشيل ليريز وجان كوكتو والعديدين، بينما وفي نفس الوقت كان يبدي جحوداً مروعاً.

وكانت تلك الحال مع ماكس جاكوب، حينما تمّ القاء القبض عليه في عام ١٩٤٤ واقتيد إلى درانسي حيث توفي هناك. حينها لم يكلف بيكاسو نفسه لمساعدة صديقه الذي أبدى له كلّ الإخلاص، وكان قد أنقذه عندما مرّ بفترة البؤس الحقيقية التي مرّت عليه في عام ١٩٠١.

لكن الأكثر فظاعة وغير المقبولة، هي الأفعال التي مارسها مع زوجاته، مع أولئك التي قادهن سوء حظهن للوقوع في براثنه. فقد كان يعاملهن الواحدة تلو الأخرى كفريسة بإمكانه أن يفعل بها ما يشاء. وكان يعرف ماذا يفعل من أجل ارضائهن واغرائهن، ومن ثم تعذيبهن، بغية ابقائهن تحت سيطرته. لأنه وباستثناء فرانسوا جيلو، التي تمكنت من النجاة بجلدها من براثنه، والابتعاد عنه لتعيش حياتها بهدوء، فقد كان يعمل على تقييد الآخريات إليه بطريقة لا انسانية، فقد كان لا يحتمل أن تتخلص منه إحدى زوجاته، ورغم أنه لم يكن يكف عن البحث عن ضحيات أخريات. كان أشبه بالمينوتورالذي يلتهم ضحاياه، كان غول الحكايات. كان بارب بلو (في اوبرا بارتوك) أو (قلهعة الدوق) لماترلنك، الذي كان يسجن النساء الواحدة تلو الأخرى في إحدى غرف قصره. وكان بيكاسو يحتفل بنساءه في لوحاته، حتى عندما يبيدهن في الحياة الواقعية.» اسباني منحرف ولكنه مشهور، والمرأة لديه ليست سوى عبدة في خدمته، ليس لهن الحقّ في الرغبة أو العواطف.

كان لديه الوسواس من المرض والرعب من الموت، شيوعي انتهازي أكثر منه شيوعي عن قناعة، ظالم وقاس تجاه أقاربه وزوجاته وأيضاً تجاه أبنائه، مشبع بنفسه كلياً. هذا هو الوحش الذي كان بيكاسو. وعلى الرغم من ذلك، حتى ولو أنه أسيء فهم أعماله من قبل عامة الناس خلال حياته، وحتى سخر منها ، فكيف لا تأسرنا وكيف لا يمكنها ابهارنا ابداعاته وعبقريته؟ وكتبت صوفي شوفو في خاتمة كتابها:» لقد أدخل اللامحدود في رسوماته» لقد امتلك الموهبة الفريدة في العالم. الإتقان الكامل لأي لغة، سواء أكان في الرسم أو النحت أو في كلّ صنوف الفنون التي تناولها في أعماله، والتي عمل بنفسه على تعديلها كلياً وتجديدها. براعة ومهارة وخيال لا يضاهى في هذا القرن، عرف كيف ينظر إلى الشمس في النور ويدينا في الظل. كانت ظلماته عميقة لدرجة أنه لم يكن ينوي النزول إليها وحده. لذلك لا يزال يورثنا كوابيسه ، مثل تلك الموجودة في الحالة البشرية ، لكنه دفع بها إلى الذروة.

الرواية التاريخية.. بين حلمي مراد وجرجي زيدان

علم عبد اللطيف

في النصف الأول من القرن العشرين.عرف القراء نشاطاً أدبياً في المنطقة العربية. بدأ يتخذ أشكالاً تتفق مع الإقبال الملحوظ على قراءة الرواية الصحفية في بادئ الأمر ..فما هذه الرواية الصحفية؟

بدأ الصحفي والروائي المصري حلمي مراد بإصدار سلسلة.. كتابي..في كتاب يصدر شهرياً. وفيه تنويع أدبي وصحفي. ويقدم في كل كتاب رواية يقوم بتلخيصها، أو يكتبها هو بنفسه.

اعتمد حلمي في اختيار رواياته المنقولة..على قصص التحول في التاريخ والعالم. مفاصل تاريخية صنعت تحولاً إنسانياً. واختار أن يقدم قصص النهايات..مثل سقوط الامبراطورية الرومانية..ونهاية الملكية قي فرنسا..وسقوط القيصرية في روسيا..وسقوط الامبراطورية العثمانية..وهكذا.

نهايات تعني فيما تعنيه..بدايات جديدة.

لن نناقش طويلاً مشروعه من حيث المنهج..بل يعنينا الحدث الروائي الذي يقدمه.. إذ اعتمد حلمي مراد على تقديم التاريخ مطعماً بالإنسان. ليتابع القارئ الحدث التاريخي برفقة شخصية واكبت الحدث أو صنعته. بإدراك منه أن التقريرية السردية للتاريخ لا يخفف من جفافها سوى وجود وتلمس المشاعر الإنسانية. فيعيش القارئ حزن الشحصة وفرحها. انتصاراتها وانكساراتها..لكأنما يعيش المرحلة الزمنية بنفسه.

لم يلجأ مراد لرسم شخيصات من الخيال في الرواية. فأوليمبيا هي فعلاً والدة الاسكندر المقدوني. وجوزفين زوجة نابليون. وايميه دي ريفري هي والدة السلطان العثماني محمود الثالث. والكسندرا زوجة نيقولا الثاني قيصر روسيا .الخ..

وربما كان مردّ ذلك إلى أن التاريخ الذي قدمه مراد. لا يحمل إشكالا من حيث استنطاق الشخصية التاريخية التي قدمها .وهي في العموم أجنبية. فلا يتحفظ على مصيرها. باعتبار أن ذلك حصل فعلاً. ويتوجب الإشارة إلى نجاح هذه التجربة بشكل لافت في مصر. وإلى المتابعة المهمة لسلسلته من قبل القراء العرب. فقلما كان يخلو بيت قارئ من كتب هذه السلسلة.

لكن جرجي زيدان..بدأ كمن يختطّ طريقاً مختلفاً عن حلمي مراد .فاختار أن يقدم سلسلة روايات تاريخ الإسلام..في كتاب الهلال..وهو اسم الدار التي أسسها في مصر.

جرجي زيدان باختياره لذات طريقة مراد بإيراد مفاصل تاريخية روائية. لكنه اختلف عنه بحصر الحدث بتاريخ الإسلام والدولة الإسلامية.. مبتدئاً بأرمانوسة المصرية.لتنتهي سلسلته بأسير المتمهدي في السودان. مروراً بكل تاريخ الدولة الإسلامية.

سنرى زيدان يبتدع شخصية روائية من خياله.تواكب الحدث التاريخي والمرحلة الزمنية التي يبتغي تقديمها. مثل.

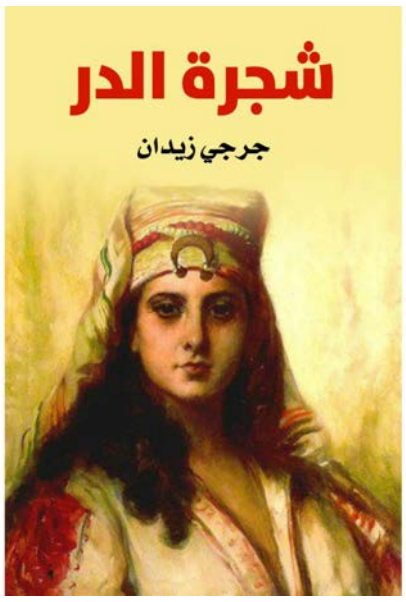

ارمانوسة.. وأسماء..عذراء قريش. وعروس فرغانة..وفتاة القيروان..وجلنار ابنة دهقان مرو..وسيدة الملك في عهد الفاطميين. وهكذا. ويمكن فهم ابتداع شخصية روائية محورية في روايات جرجي زيدان. في صعوبة استنطاق شخصيات الإسلام والدولة الإسلامية كشخصيات تتحمل المبولات التاريخية التي يوردها. ومعظمها استقاه زيدان من كتب التاريخ التي كتبت بعد عهودهم. وهو معذور في ذلك كما نرى.لكنه اقترب أكثر من حلمي مراد من مشروع روائي عربي مستقر وأصيل . يقوم بالأصل على رسم شخصيات خيالية في العمل الروائي. ويتحرر الكاتب من الحدث التاريخي. منطلقاً نحو اتساع الرؤية الفنية والإبداعية.

يبقى السؤال..هل كانت محدودية زمن الدولة الإسلامية.سبباً في توقف سلسلة دار الهلال.أم إن طبيعة المرحلة الزمنية هي التي أوقفتها..؟. ويبدو التساؤل مهما إذا لاحظنا توقف سلسلة كتابي أيضاً بذات الفترة تقريباً.

لا شك أن التجربتين أسستا للمشروع الروائي العربي. بصرف النظر عن أهمية المادة التاريخية التي تم تقديمها. ويمكن القول إن زمن حياة كل من الكاتبين. كان هو العامل الحاسم في توقف السلسلتين.

رفقتي

رجاء علي

أفكر والجدران رفقتي
ماذا لو كنت الآن معك
نحصي الخطوات
في هذا الشارع الصامت
أقطف ورد الربيع باقات
أنثرها حول شرفات البيوت
المغلقه
كيف يأتي الربيع وحيداً
ولا يجدنا بانتظاره
أفكر أن أقطع المسافات
إليك
على وقع نبض قلب
مسكون بعشق دمشقية
وجهها بياض ياسمين
وأصابعها حبق اللاذقية
وعيناها سهول الفرات
أتمضي معي يا وجه
القلب
نقرع الأبواب الهادئة
نترك على أجراسها رسالة
وعد والوعد عند
العاشقين عهد
أفكر أن أملأ لك جرار
جدتي العتيقة
ماء شهيا أسكبه على
نباتات بعيدة
علها تعرش على عيدان
الليل
وتنجب لنا نجوماً
ساطعات
بأمل غد أنتظره
كالعيد مشعا

كعب الشوق

نصرة إبراهيم

دعْ البحرَ يسبح في عين سمكة
عسى شراعُ المغيب يلتقط أنفاسَه
ويكفُ عن الدوران في دوامة
الرحيل
دعه
أريدُ أن أربطَ الأيامَ بكعب الشوق
ثم أغلي القهوة مع أني لست من
عشاقها
وأدلقَها على قميص الليل
(تغطيت وبعدني الليلة بردان
أحس بدمي بالشريان جامد)١
وحدَه
البردُ الصغيرُ العاشقُ مبدعٌ في
إثارة ما أشتهي
من أمنيات أردُ له السلامَ إذ أحتفي
بعشقه
فدع البحرَ وشأنَه، ليكفّ الخيالُ
عن رسم اللوحاتِ السوريالية عند
باب الحديقة
اللوحاتِ التي انمحتْ ألوانُها بفعل
السالب والموجب
في كثافة ضوء اليدين
الضوء الذي مضى وراء ظلك
(كل ساعة وتعتني جفون بطران
وأنا جلد العلي قماشه بايد)٢
دع البحرَ يسبحُ في عين سمكة
أريد أن ألتقط أطرافَ أصابعك
وأعزفَ بها على أوتار غموض
ابتسامتك الماكرةِ المتلئةِ بشهوة
الذئب
الذئبُ الشبيه بالبرد
مرة يأخذ شكلَ كأس الماء ومراتٍ
بسملةَ الشفاه
(سواد الليل يبقى وتطفي الألوان
وأعيد بذكرياتك والمشاهد)٣
تنامُ قريرَ الحياة تشربُ الحلم تغلقُ
الأبوابَ، وتتركُ نافذةً صغيرةً يدخل
منها محور الرواية
الروايةُ الصالحةُ لتكون واقعاً
جميل المحيا
تطوي ساقيك تستريح من
الأحجيات
الأحجيات،
العقدة،
السر،
الموت،
كلُها بلا حل
(على بئر المنايا وجيت عطشان
مجبور وشَرَبت الماي راكد)٤
دع البحر يستريح بفم موجة هاج
الملح بخصرها
فذابت على موقف اللحظة
وأنا تلاشيت بعنق البرد
دعه
فإني أريد أن أخفي المفتاحَ بجلد
النخيل
وأنام ملء الصوت

فوق النخل ورحلتها

سامر الشغري

التراث الغنائي في منطقتنا شديد الغنى والتنوع، وكثير من أغانيه نسمعها بألحان شتى وكلمات متباينة، وهناك من كان في كل مرة يلبسها ثياباً جديدة ويغير بكلماتها أو لحنها أو توزيعها، ولعل من أشهر هذه الأغاني واجملها فوق النخل.

هذه الأغنية المغرقة في شجنها وأساها ينسبها الكثيرون للتراث، فيغمطون بذلك حق صانعها الأساسي، والذي كان الملهم الأول لكل من أعاد تقديم هذه الأغنية بطريقته الخاصة.

عندما قدم المطرب العراقي الراحل ناظم الغزالي هذه الأغنية للمرة الأولى قبل وفاته بفترة قصيرة سنة ١٩٦٣، كان قد جاء بها من توشيح ديني بعنوان «فوق العرش» لأحد أعلام الموسيقا والشعر في بلاده واسمه الملا عثمان الموصلي، كما ذكر ذلك الباحث العراقي المتخصص في التراث الدكتور هيثم شعوبي، وكان الموصلي يرددها في جلسات الحضرات الصوفية وينشد كلماتها التي تقول:

«فوق العرش سيدي
فوق العرش فوق
معراج أبو إبراهيم سيدي
فوق العرش فوق
هادي للأكوان.. كشاف البلوى».

لقد أخذ لحن هذه الأغنية بلب الغزالي وأعجب به جداً، ورغب بغنائه ولكن على طريقته هو، فلجأ إلى الشاعر الغنائي جبوري النجار، الذي كتب له نصاً استوحى بعض عباراته من نص الموصلي وفيه يقول: «فوق النخل فوق..فوق النخل فوق..مدري لمع خدك..مدري القمر فوق..والله ما ريداه..باليني بلواه».

ولم يكتفِ الغزالي باستبدال النص، بل غير في آلية اللحن الذي غناه الموصلي والمعتمد على المزاهر كآلات مرافقة للغناء، وطلب من الموسيقي القدير جميل بشير توزيعه بشكل يتواءم مع آلات التخت الشرقي، والذي قام بالمهمة على أكمل وجه محافظاً على مقام اللحن وهو الحويزاوي من فروع الحجاز.

ومن الطريف تلك الحكايات التي أحاطت نشوء الأغنية، بأن شاباً بغدادياً كتبها ولحنها لجارته التي كانت تقيم في غرفة تعلو منزله، وتسببت هذه الحكاية في ذلك اللغط الذي دار حول العبارة الافتتاحية، بين «فوق النخل» أو «فوق إلنا خل»، ولكن أغلب الباحثين يؤكدون أن الغزالي قصد النخلة، كالإماراتي عبد الله المدني والعراقي مازن العليوي، مستدلين على ذلك بأن الغزالي لفظ كلمة النخل بتفخيم اللام وبفتح الخاء، ولو أراد أن يقول «خل» للفظ اللام مرققة ولكسر حرف الخاء.

ولم يمر على رحيل صاحب الأغنية الأول عامان حتى أعاد المطرب الكبير صباح فخري تقديها ضمن حفل جماهيري، ولكنه خلال مقابلة صحفية أجراها معه الأديب الراحل جان ألكسان لصالح مجلة العربي الكويتية، نسب الأغنية للفلكلور ولم يذكر اسم أصحابها الأصليين.

ورغم أن فخري لم يغير في لحن فوق النخل الأساسي، لكنه أضاف إليه الكثير بأدائه الفخم وعرباته الصوتية الخارقة، وبدّل كلمات الكوبليه الأول الذي غناه الغزالي، لتكون بذلك ثاني محاولات تعديل هذه الأغنية حيث يقول فخري:

«بالله يا مجرى الي
سلّم عليهم عليهم
صعبانة الفرقة علي
اشتقنا إليهم إليهم»

ومع الموسيقار السوري الراحل نجيب السراج، سوف تعرف فوق النخل محاولة تعديل أكثر جرأة وتجديداً، فلم يكتف باستبدال لحن الأغنية برمته، بل انتقل إلى مقام آخر أقل حزناً وأكثر تطريباً وهو البيات، ثم جعل الشاعر الراحل عمر حلبي يكتب له نصاً جديداً أضاف على مذهبه كلمة «يا سليمى»، ثم كتب كوبليهين جديدين فقال في الأول:

«والله لاغنيلك يا سليمى
عن ألم حبي
بلكي بيرضى قلبك يا سليمى
وبيطاوع قلبي».

وفي عام ١٩٦٩ عرفت أغنية فوق النخل عملية التجديد الرابعة والأخيرة مع المطرب الكبير موفق بهجت، والذي وجد أن هذه الأغنية تتناسب مع خطه الأساسي القائم على إعادة تقديم التراث الشعبي السوري والعربي بأسلوبه، مع تغيير اللحن والنص أو تطويرهما.

وحين سألت الفنان موفق عن هذه الأغنية أجابني بالقول((شهد عقد الستينيات موجة العودة إلى الفلكلور مع فنانين كبار في مصر وسورية ولبنان، وأردت أن أدلي بدلوي في هذا المضمار لإعطاء لحن ما صبغة أو بناء موسيقي جديدين، واخترت لذلك فوق النخل الذي أدته مجموعة من أعظم الأصوات العراقية)).

وعن إعداد الأغنية قال بهجت ((اتفقت مع الشاعر الراحل عمر حلبي صاحب المساهمة الكبيرة في بناء الأغنية السورية على تقديم نص جديد، وبعد أن قدم لي الأغنية دخلت إليها من باب الحكاية والحدوتة، محافظاً على أصالة اللحن ولكني بنيته من طبقة أعلى انسجاماً مع لوني الخاص في الغناء، واعتمدت الطرافة في المقارنة بين كلمتي فوق وتحت وبأن العاشق سوف يرمي نفسه إن لم تشفق عليه المحبوبة)).

لقد مزج موفق في تلحينه لفوق النخل بين مقامي بيات دوجا وفرحفزا فأعطى للأغنية حيوية واندفاعاً لم تكن موجودة في السابق، ومنح فسحة أكبر في الأداء الصوتي للكورس، ولاسيما في المذهب:

«فوق النخل فوق يا عيني
فوق النخل فوق فوق
مدري القمر حدي تحت
مدري القمر فوق».

بعد هذه المحاولة من الفنان موفق لتجديد فوق النخل، توقفت نهائياً أعمال التطوير في شكل الأغنية ولم يسعَ آخرون للتغيير في لحنها أو كلماتها كما قدمها الغزالي أو فخري، ولكن الشغف فيها لم يتوقف ووصل إلى قلب أوروبا، وقدمتها العديد من الأصوات النسائية أمثال شهد برمدا وفايا يونان وهالة القصير ونانسي نصر الله وبيسان إسماعيل، فيما قدمها آخرون بأشكال جديدة دون المساس بالجوهر من فرقة ألمانية أعادت توزيعها أوركسترالياً بمرافقة كورال ضخم، والثنائي الأخوين شحادة بطابع احتفالي، وفرقة أشكون السورية الألمانية التي قدمتها بأسلوب الموسيقا الإلكترونية.

وما تزال رحلة فوق النخل مستمرة ولم تتوقف في حناجر المطربين والمغنين وأفكار المطورين، راسمة إشارات استفهام كثيرة عند الباحثين والمهتمين، حول ما تكتنفه هذه الأغنية تحديداً ليغرم بها هذا العدد من الفنانين في الشرق والغرب، ويعكفوا على إعادة تقديمها مرة تلو المرة، ولكنهم كانوا غالباً ما ينسون أن ينسبوها لمؤلفها وملحنها الأساسي، فيعيدونها للفلكلور أو لمؤلف مجهول.